1355

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أبي بكر بلقايد ـ تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم : التاريخ

سجل تحت رقم 1565/13
جامعة 11/11/2008

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع هجريين

من إعداد الطالبة
أمينة بوتشيش

تحت إشراف الأستاذ
د. عبدلي لخضر

لجنة المناقشة:

أ.د/ معروف بلحاج	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
د/ عبدلي لخضر	مشرفا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
أ.د/ مجاود محمد	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس
د/ مبخوت بودواية	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د/ بسنوسي غوتي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان

مكتبة الكلية
كلية الآداب و العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

السنة الجامعية : 1428-1429هـ / 2007-2008م

Résumé

La ville de Béjaïa a connu le siècle d'or au 17ème siècle de l'ère Chrétienne (12ème et 13ème Siècle après J.C) différents repères historiques, et d'importants événements.
Elle a contribué d'une manière directe au changement de la situation politique, Civilisationnelle. Aussi, sa prospérité s'est vu progresser de plus en plus. Son aspect architectural a été édifié à une vue extraordinaire, la rue pour laquelle bon nombre de savants, qui avaient visité la ville, proclament, leur admiration intellectuel, va l'épisser aussi son commerce pour briller d'un nouveau éclat au delà de la mer méditerranée.
Mots clés : Béjaïa, Siècle d'or, civilisation, entre le 6ème et 7ème siècle de l'hégire (12ème et 13ème siècle après J.C).

ABSTRACT

Béjaïa knew a variety of historical events, between the 6th and 7th century
contributed directly to its political change which influenced its
civilization, the development of its economy and its
attracted the neighbouring citizens, our city
in the enrichment of its culture beyond the

Key words : bejaia, historical study, civilization, between the
century.

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ(٨٢) »

صدق الله العظيم

(غافر: الآية ٨٢).

الإهداء

إلى روح جدتي رحمها الله
إلى الوالدين الكريمين
إلى أسرتي الفاضلة
إلى خالاتي الوقورات
وإلى أخي محمد الأمين
إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث ماديا ومعنويا.

شكر وعرفان

أحمد الله عز جلاله على عونه وعلى إتمام نعمته وعلى لطفه ويسره فليس عندي شيء ولا من شيء ولا لي شيء فالفضل لله وحده.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى المشرف الدكتور: "عبدلي الأخضر"، الذي صبر علي أثناء إنجازي لهذا البحث، ناهيك عن نصائحه والتي أمدت البحث مصداقية أكثر، كما أوجه جزيل الشكر أيضا إلى الدكتور: "مبخوت بودواية" الذي دعمني بتوجيهاته لإتمام هذا العمل. وإلى الأستاذ الدكتور: "بلحاج معروف" له منى خالص الشكر والعرفان.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى خالتي "يمينة" على يد العون، وسهر الليالي معي، وتشجيعها لي طوال مدة الدراسة، فكانت لي خير معين.

وإلى خالتي "هوارية" على دعمها المادي والمعنوي.

مقدمة

المقد مة:

تعتبر بجاية من بين مدن المغرب الإسلامي والتي لا تقل شأنا عن باقي عواصمه،فلقد نالت شهرة واسعة في أوساط المجتمعات البربرية،لا سيما بعد تأسيسها في القرن 5 هـ -11م ،فشهدت خلال هذه الحقبة تألقا وبروزا لا مثيل له،وهذا ما لمسناه خلال تفحصنا في فلك جلّ المصادر التي تناولت هذه الفترة الزمنية من تاريخ بجاية،لكن في نفس الوقت وجدنا معلومات شحيحة،فبجاية لم تحض بدراسة وافية من التاريخ السياسي و الحضاري خلال الفترة الموحدية و الحفصية ومن هذا المنطلق تجلت دراسة بجاية تاريخيا وحضاريا بين القرنين6-7هجريين-12-13 ميلاديين.فحاولنا تسليط الضوء أكثر علي هده الفترة المهمة ورفع النقاب عنها حيث عرفت بجاية مراحل تاريخية خلال القرنين6-7هجريين كان شاهدين علي تغيير وضعها السياسي الذي لحقه ظهور علاقات خارجية متعددة ما أدي إلي تكتيف الأنشطة الاقتصادية و العمرانية و الفكرية .

فإلي أي مدى ساهم ولاة الموحدين و الحفصيين في تغيير الحياة السياسية و الحضارية في بجاية ما بين القرنين6-7هجريين؟وهل الرصيد الثقافي والعلمي اللذان تفتخر بهما بجاية كان عاملا رئيسيا في استقطاب اليها مشاهير العلماء من حدّب و صوّب؟

وللإجابة على هده التساؤلات قسمنا الدراسة إلى تمهيد و ثلاثة فصول وخاتمة.

في التمهيد اشرنا إلى الموقع الجغرافي لبجاية ،وحدودها وعن جملة المصادر التي وصفتها خلال القرنين 6-7هـ/12-13م،وعن سكانها الأصليين الدين سكنوها قبل فتحها علي يد الأمير الحمادي الناصر بن علناس ،كما استرسلنا

في تاريخها القديم، منذ العهد الفينيقي والروماني والوندالي والبيزنطـــي، والفـــتح الإسلامي إلى غاية بناءها من جديد في القرن 5هـــ/11م خلال الفترة الحماديـــة، فالحماديون اضطروا لتغيير عاصمتهم التقليدية القلعة إلى استحداث عاصمة جديدة بجاية وهذا راجع لعدة أسباب من بينها غارات بني هلال وإزعاجاتهم لهم.

أما الفصل الأول خصصناه لدراسة تاريخية لبجاية بين القرنيين 6-7هـــ/12-13م،حيث تعرضنا فيه إلى سقوط بجاية في يد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، كما أشرنا أيضا إلى الولاة الموحدين الذين تداولوا على بجاية وصراعهم مع حركة بني غانية، التي أثرت هذه الأخيرة بشكل واسع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية على بجاية، إلى جانب هذا سلطت الضوء على وضعية بجاية في الفترة الحفصية خلال القرن 7هـــ/13م وإلى غاية سقوطها.

وخصصنا الفصل الثاني للنظم السياسية التي عرفتها بجاية ما بين القرنيين 6-7هـــ/ 12-13م، ثم استعرضنا فيه أهم النشاطات الاقتصادية من فلاحة وصناعة وتجارة، التي ساهمت في رفع من مقامها الحضاري، بالإضافة إلى العمران الذي يعتبر اللبنة الأساسية لركائز أي منطقة،فعمران بجاية من قصور وأبواب وحصون، ومساجد وزوايا ومباني عمومية كانت بمثابة صورة حقيقة تحكي عن تألق وازدهار هذه المدينة، بالإضافة إلى دور مؤسساتها الدينية في إثراء الحقل المعرفي والفكري، داخليا وخارجيا.

وقد أفردنا الفصل الثالث بدراسة الحياة الثقافية ببجاية ودورها الفكري على دول غربي البحر الأبيض المتوسط، ودور كل من المهاجرين الأندلسيين والمشارقة في إثراء الثقافة ببجاية، إلى جانب هذا أدرجنا بعض من العلماء الذين أنجبتهم بجاية أو الذين توافدوا عليها أو استوطنوها أو نزلوا بها مؤقتا.

وفي الأخير ذيلنا البحث بخاتمة جاءت كحصيلة لكل ما درسنا خلال الفصول الثلاثة، وكنتيجة للدراسة.

ولتعزيز أكثر البحث اعتمدنا علي منهج تاريخي، هذا وزودنا البحث بمجموعة من الملاحق تمثلت في خرائط تاريخية خلال القرنيين 6-7هـ/12-13م، وخرائط إقتصادية، وإلى رسالتين الأولى كتبها الأمير الحمادي يحيا بن العزيز حين أحس بدنو الموحدين من حدود دولته، أما الرسالة الثانية فهي للخليفة ألموحدي عبد المؤمن بن علي، التي كتبها لسكان بجاية، تحمل وصايا لهم.بالإضافة إلى صور تحمل بعض المعالم الحضارية لبجاية كأبوابها، ومساجدها، وأضرحة أولياءها.

وبطبيعة الحال اعتمدنا في صياغة هذه الباكورة من العمل المتواضع على مادة علمية من مصادر في التاريخ العام، وفي التراجم، وكتب للجغرافيين الرحالة من أهمها:**كتاب الكامل في التاريخ**،لابن الأثير(ت630هـ)يعتبر مصدره من أهم المصادر التاريخية،التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي خلال القرنين 6-7هجريين كما يتألف المصدر من ثلاثة أقسام ،القسم الأول خاص بالفتوحات وأخبار الدولة الصنهاجية الزيرية والحمادية ،أما القسم الثاني خاص بتاريخ الأندلس ويأتي القسم الثالث فيضم تاريخ ألدولتي المرابطين و الموحدين إلي غاية سقوطها هذا الأخير اعتمدنا عليه في معرفة تاريخ الدولة الموحدية خاصة مرحلة ضم بجاية لملكها .

- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،لعبد الواحد المراكشي(ت647هـ-1249م) هذا الأخير كان موالي الدولة الموحدية ، فلقد أمدنا مصدره بمعلومات دقيقة عن أخبار بعض الملوك خاصة الدولة الموحدية التي عايش حقبتها ، إذ كان شاهد

عيان علي أهم الأحداث و المراحل التاريخية كما استنبطنا منه تاريخ بجاية في عهد الموجدي.

- **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب:** لابن عذارى المراكشي (ق 7هـ - 8هـ / 13م - 14م) عايش هذا المؤرخ عصر الموحدين فيعتبر من أهم مصادر تاريخ المغرب الإسلامي، بسبب ما أورده من أخبار تاريخية أكثر دقة حيث أنه نقل مادته من مؤرخين كالرقيق القيرواني و البكري و القضاعي و غيرهم.

- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس:** لابن أبي زرع الفاسي يتضمن هذا الكتاب تاريخ المغرب الأقصى من قيام دولة الأدارسة إلى غاية الدولة المرينة، فاستفدنا منه عن أخبار الدولة الموحدية وتوسعها على مناطق المغرب الأوسط والأدنى.

- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:** لعبد الرحمان بن خلدون (732 هـ - 808 هـ) أمدنا كتاب العبر تقريبا بكل المراحل التاريخية الخاصة بدراسة أي تاريخ السياسي لبجاية مابين القرنين (6-7هـ-12-13هـ)، فأي دراسة في المغرب الإسلامي الوسيط لا تستطيع أن تتخلى عن مصدر عبد الرحمن بن خلدون لأن كل أجزاءه السبعة تناول فيها تاريخ العام الإسلامي و المغربي الأندلسي. فلقد استفدنا من الجزء السادس الذي يحوي على معلومات تاريخية بالنسبة للصنهاجين وتاريخ الدولة الموحدية و الحفصية هذه الأخيرة التي كان فيها عبد الرحمن بن خلدون في خدمة ملوكها.

- **كتاب الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية:** لأبي العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بن القنفد القسنطيني (ت 810هـ) وجدنا في هذا المصدر مادة

تاريخية مهمة عن تاريخ الدولة الموحدية و الحفصية، فتنوعت أخباره من ثقافية وسياسية لهذين الدولتين.

- **كتاب تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية:** لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي (ت887هـ) هذا الكتاب لا يقل أهميته عن باقي الكتب التاريخية التي تعالج الفترة الموحدية و الحفصية، فهو يتناول أهم أحداث و يشير خلاله لوضعية بعض المدن التي خضعت للحكم الموحدي و الحفصي من بينها مدينة بجاية التي عرفت مراحل تاريخية متنوعة خاصة ما بين القرنين 6 و7هـ/12-13م.

أما كتب السير والتراجم فاعتمدنا علي مصدر :

- **التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي:** لابن الزيات التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحيى ﴿ ت، 617 هـ / 1220 م)، فيه تراجم لـ 297 متصوفة من بينهم استوطن بجاية و توفي بها.

- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية:** لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني (ت، 704 هـ / 1304 م) ، من تحقيق رابح بونار هذا المصدر يحوي على تراجم لعلماء بجاية في مختلف التخصصات، و عليه كانت استفادتنا منه كبيرة في ترجمة لبعض أعلام بجاية خلال القرنين 6 و 7 هـ .

أنس الفقير و عزّ الحقير: لابن القنفد القسنطيني أبو العباس أحمد بن الحسين بن علي بن الخطيب (ت، 810 هـ / 1407 م)، هذا المصدر من تحقيق محمد الفاسي، أدولف فور، فبدوره يتضمن تراجم أعلام المغرب الإسلامي و الأندلس.

- **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج في كفاية المحتاج:** لأبي العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت يعرف ببابا التنبكتي، تكمن أهمية هذا المصدر في

إدراج جمهرة كبيرة من العلماء في مختلف الدراسات، و بذلك زودّ التاريخ الثقافي بثروة فكرية و علمية على رأسها علماء المالكية.

ما لحضناه خلال تصفحنا لهذه المصادر، أنها مهمة كونها تحوي ترجمة لنخبة من علماء البارزّين، الذين عاشوا في فترة زمنية متقاربة، حسب ما هو ظاهر في تراجمهم، كما استطاعت كتب التراجم أن تعرفنا بالحياة الثقافية و الفكرية بالمغرب الإسلامي عامة .

كما وضفنا كتب للرحالة الجغرافيين نذكر اهم مصدر جغرافي، استفدنا منه بشكل كبير، خاصة في المجال الاقتصادي و الموقع الجغرافي لبجاية، لاسيما المناطق التي تحدها، و هو كتاب:

- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** للإدريسي (ت، 560 هـ / 1066 م)، ورد فيه تعار يف لبعض المناطق من بينها منطقة بجاية كما أشار إلى بعض من نشاطها الاقتصادي، خلال القرنين 6 هـ / 12 م ، فمعلومات الإدريسي ألم بها من مشاهداته عبر رحلاته و أسفاره، من بينها مدن المغرب العربي خلال القرنين 5 و 6 هـ .

- **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار:** لكاتب مجهول من مراكش، عايش القرن 6 هـ / 12 م، قام بتحقيق هذا المصدر سعد زغلول عبد الحميد فيعتبر بدوره أهم مادة تاريخية جغرافية، فمن خلاله كانت لنا إطلالة عن الأوضاع السياسية و الاقتصادية و حتى الاجتماعية، التي سادت بجاية في القرن 6 هـ / 12 م، فكانت إستفادنا منه كبيرة في دراسة المجال الحضاري لبجاية، فهو علاوة عن التعريف بمناطق العالم العربي الإسلامي، يشير إلى ثرواتها الاقتصادية و الحياة الاجتماعية من عمارة و تركيبة سكانية بها.

- **معجم البلدان:** لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت، 626 هـ / 1229 م)، هذا المصدر عبارة عن أجزاء بها تعاريف لمختلف المدن مرتبة حسب الأبجدية، فاستفدنا منه في التعريف ببعض المناطق التي وردت في الدراسة.

إلى جانب هذه المادة التاريخية، وظفنا في الدراسة مجموعة متنوعة من المراجع أهمـــها كتاب النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6 هـ / 12 م، لعز الدين أحمد موسى، و كتاب الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم و نظمهم، لعز الدين عمر موسى، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني الزيري من القرن 10 إلى القرن 12 م ، للهادي روجي إدريس، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، لإسماعيل العربي، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، لمجموعة من المؤرخين، رشيد بورويبة، موسى لقـبال، عـبد الحميد حاجيات، عطاء الله دهينة، محمـد بلقراد. و غـيرها من الكتب باللغتين العربية و الفرنسية إضافة إلى المقالات و النداوات و الأطروحات الجامعية.

و لم يكن تناولنا للموضوع بالأمر الهين فلقد واجهتنا صعوبات و معوقات كقلة المصادر و المراجع، ناهيك عن شح معلوماتها، فكما ذكرنا سلفا أننا لاحظنا من خلال دراستنا لبعض المصادر، اهتماما كبيرا بوضعية بجاية خلال العهد الحمادي و معلومات عنها قليلة في الفترة الموحدية و الحفصية، خاصة الجانب الحضاري كما لم يكن هنالك اهتماما كبيرا للمؤرخين بالدور الثقافي الذي لعبته بجاية على دول غربي البحر الأبيض المتوسط، لكن فيما يخص إحصاء علماءها فمصدر الغبريني أمـدنـا بـطبق دسم من نخبة العلماء في مختلف التخصصات و العلوم بما أنه عايش الفترة الذهبية لبجاية خلال القرن 7 هـ / 13 م.

وعليه نتمنى أن تكون هذه الدراسة من بين الأعمال التي تنعش تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط و انطلاقة لأبحاث أخري.

التمهيد

تمهيد:

عرفت بجاية أسماءا عديدة منها: بغابيت[1]، صلدة[2]، صلداى[3]، ڤورايا[4] الناصرية[5]، بوجي[6]،لكن رغم هذا بقي اسم بجاية متداول إلى يومنا هذا.

يمتاز مناخ بجاية بالاعتدال صيفا، ويحدث أحيانا أن ترتفع درجة الحرارة إلى ما بين 30 و40 درجة بسبب جبل يماڤوراية، الذي يحجب المدينة، ويمنع عنها الرياح الشمالية أما الجهة الجنوبية فهي أكثر عرضة للرياح، كما تزخر المدينة بكثرة سقوط الأمطار، مما يجعلها منطقة زراعية غنية بأشجار الزيتون والصفصاف، وغيرها[7].

ويقابل بجاية جبال شاهقة، أهم قممها " جبل أمسيون "،جبل يماڤوراية الحالية، يمر بالمكان المعروف بلسم ملعب الذئب، ثم بالتلال التي يطلق عليها البجائيون اسم " سبع جبلات "[8].

---

[1]- بغابيث: حسب اللهجة البربرية تعني بجاية ينظر: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد،مراجعة عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، ج3، ص 351.

2- أسس الفنيقيون مدينة بجاية وأطلقوا عليها اسم صلدة، ينظر: بجاية سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة ديسمبر 1975.

3- غير الرومان اسم صلدة إلى صلداى حينما احتلوا سواحل إفريقيا، ، ينظر: بجاية سلسلة الفن والثقافةوزارة الإعلام والثقافة، ديسمبر 1975

4ڤورايا: اسم أطلقه الوندال على بجاية، وتعني جبل، واتخذوها كعاصمة لقواعدهم بإفرقيا، ينظر:السيدة عالمة، نظرة على تاريخ بجاية، مجلة الأصالة، العدد 19 السنة الرابعة، 1394هـ/1974م، ، عدد خاص ببجاية، ص 84.

5- بعدما فتح الأمير الحمادي الناصر بن علناس جبل كان به قبيل من البربر بنى مدينته سنة 460هـ/1169م. وسماها بالناصرية نسبة إلى اسمه، لكن رغم هذا أبقى سكانها الأصليين على اسم بجاية، ينظر: أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، حققه محمد يوسف الدقاق، ط 3، لبنان، دار الكتب العلمية 1415 هـ - 1995 م ص 374.

6- بوجي، bougie، كلمة فرنسية تعني الشمعة، أطلقها التجار غربي بحوض البحر الأبيض المتوسط على بجاية بسبب استيرادهم منها الشمع، ينظر: إسماعيل العربي، دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ص 247.

7-احمد الشنتاوي،ابراهيم زكي خورشيد،مراجعة عبد الحميد يونس ،دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الثالث ، المجلد الثالث ،ص350.

8-إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ص 183.

هذا الجبل الذي يبلغ 680م[1]، يعتبر من أصعب جبال بجاية أما على يمين المدينة ترتفع جبال أخرى تتموقع بمحاذاة الشاطئ كجبال بوعنداس، وجبال بني تيزي الصخرية، وأدرار أملال الجبل الأبيض أو زرزور المتفرعة عن جبال البوابير أو البابور[2] التي يلبسها الثلج حلة بيضاء شتاءا في كل سنة.

كما تنقسم بجاية إلى قسمين القسم الأول، على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية " (جبل للاقورارية)، والقسم الثاني، بجاية الحديثة التي تمتد نحو وادي الصومام، الذي يعتبر نقطة وصل وفصل معا، أما الوصل فيتمثل في الربط ما بين المدينة وجبال جرجرة والفصل في أنه حاجز مائيا بين سكان هذه المناطق[3].

أما المصادر الجغرافية للرحالة القدامى، جاءت نصوصها متنوعة في وصف بجاية و مرساها و المدن المجاورة لها، [4] كما يرجع الفضل في ضبط إسمها لكل من أبو الفداء وياقوت الحموي. فبجايه بكسر الياء و تخفيف الجيم، ألف، ياء مثناة و هاء [5]، ومن هذا المنطلق وقبل أن نغوص في تاريخها القديم ونسترسل تسلسلها الزمني، يجب أولا أن نتعرف إلى أصل تسميتها، وإلى أي قبيلة ينتمي ساكنيها؟ فحسب قول عبد الرحمن بن

---

[1]- بجاية سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، ديسمبر، 1975، ص 107.
Isabelle Conolli, Histoire de la ville de Bougie du VI eme siècle avant J.C au XII eme siecle, collection des français d'Aillurs, éditions les français d'Allurs, Montpellier, 1987, p10.
لكن في دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد يذكران أن ارتفاع قمة جبل للاقورارية يبلغ 660 م.

[2]- إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ، ص 183.

[3]- موسى لقبال، "ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى"، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد 19 ، عدد خاص ببجاية، 1394 ه ص ص 03- 05.

[4]- ينظر عبيد الله البكري, المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب و هو جزء من كتاب الممالك, دار الكتاب الإسلامي, القاهرة, ص 82, أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسيني المعروف بالشريف شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان, مقدمة محمد عبد الرحمن المرعشلي, م1 , دار إحياء التراث العربي, مؤسسة التاريخ العربي, بيروت لبنان, ص 270, مؤلف مجهول, الإستبصار في عجائب الأمصار, تحقيق زغلول عبد الحميد, الإسكندرية ,1958, ص 114.

5- ياقوت الحموي, المصدر السابق،ج1،ص 270 .

خلدون إن" هذا القبيل من صنهاجة "[1] باقون لهذا العهد اوزاعا في البربر " [2] صنهاجة التي يقسمها إلي طبقتين فهؤلاء البربر ينتمون الي الطبقة الاولي من صنهاجة ، يرجع اصلهم الي بنو ملكان بن كرت التي توجد بعض اعقابها بجاية [3] اذ بجاية اخذت اسمها من القبيلة التي كانت تسكنها ، و يقال ان اسم بجاية تحويل الي كلمة- بكاية – الناجين او المنقدين ، لكن هذه النظرية لم تؤكد [4] ، وما يلاحظ اليوم ، انه لم يتغير اسمها رغم ان الناصر [5] اطلق عليها اسم الناصرية عندما فتحها ، لكن ساكنيها ابقو علي اسمها الاول . تميزت بجاية منذ القدم بجاذبيتها الخاصة ، حيث استطاعت ان تلفت الانظار اليها فاول من اكتشف سحرها وجمالها الطبيعي هم الكنعانيون الفنيقون [6] ، اللذين اسسوا بشمال إفريقيا مجموعة من المدن منها

1-صنهاجة كان اهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت و كانت مواطنهم بالمسيلة الي حمزة الي الجزائر والمدية و مليانة من مواطن بن يزيد وحصين والعطاف من زغبة ومواطن الثعالبة لهذا العهد ، انظر .عبد الرحمان بن خلدون ، العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام الغرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من دوي السلطان الاكبر ، - بيروت ، لبنان ، دار الكتاب اللبناني 1981 ، ج6 ص180 ، ابن محمد بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ، جمهرة انساب العرب ،ص506 .

2-عبد الرحمان بن خلدون العبر، ج6،ص206 .

3-نفســـه ،ص180 .

4-بجاية سلسلة الفن والثقافة وزارة الاعلام والثقافة ، دسمبر 1975 ص14 .

5-هو الناصر بن علناس احد امراء الدولة الحمادية والمؤسس الحقيقي للناصرية (بجاية) سنة 460 هـ توفي سنة 481 هـ بقصر بظاهر بجاية ينظر ، لسان الدين بن الخطيب ،تاريخ المغرب الغرب في لبعصر الوسيط من كتاب اعمال الاعلام ،ج3 ، تحقيق احمد المختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964ص97.

6-الفينيقيون فرع من كنعانيين الذين اقاموا حضارتهم في فلسطين ولبنان وجزء من سوريا ولم يكن يدكر اسم الفنقيين قبل الربع الاخير من الالف الثانية قبل الميلاد و لهذا يمكننا ان نجعل هذه الفترة بداية لتاريخهم. ينظر محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الي الفتح الاسلامي مؤسسة الجرائر 1992ص37.

بجاية أو صلدة كما سموها فهي تعتبر من أهم مدنهم الاقتصادية والتجارية ، وبعد الفنقيين آلت صلدة إلي الحكم النوميدي [1]ثم جاء الاحتلال الروماني الذي أتي بنية التخريب والتدمير بشمال افرقيا ، فقد ضمر مدينة قرطاجة [2] سنة 146ق م ومند هذه الواقعة أصبحت صلداي كما نعتوها الرومان من ضمن مستعمرات هذا الاحتلال مثلها مثل باقي القواعد التجارية لم تعرف صلداي الاحتلال الروماني فقط بل تكالب عليها الاحتلال الوندالي[3] اذ اتخدوها في بادئ الامر كقاعدة لهم بافريقيا[4] وسموها بقورايا وهي تعني جبل كما هو اليوم قائما يطل علي بجاية وقد دام الاحتلال الوندالي بافريقية ما يزيد عن القرن ولم يكن اخر من استعمر بجاية البيزنطيون [5]كان لهم نصيب في احتلالها ايضا فلقد وصلوا الي سواحل افريقيا سنة 544م واخضعوا مدنها للسيطرة والاحتلال بلعمل البزنطيون علي نشر الدين المسيحي ببطء في هده الديار البربرية ،لكن بدخول العرب الفاتحين عملوا بدورهم علي نشر الدين الاسلامي

1-نوميديا مملكة تشمل قسمين تسيرهما قبلتين قبائل مازيسيل وماسيل الاولي حدودها تشمل غرب الجزائر اما الثانية تشمل الشرق الجزائري وشمال تونس عدا اراض الدولة القرطاجية ينظر ، محمد الصغير غانم المملكة النومدية والحضارة البونية ، ط1 ، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع دسمبر 1998 ص 50.

2-قرطاجة :تاسست هذه المدينة من طرف المهاجرين الفنقيين سنة814 ق م وقد سبق تاسيسها بداية الالعاب الاولمبية الأولي 776ق م بحوالي 38سنة ، ينظر ،s.gsell. histoire ancienne de l'afrique du nord teom 1،P397

3-الوندال قوم انحدروا من السلالات النورمندية الشمالية أي الجرمانيون ينظر ، محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ الي الفتح الاسلامي ص233 ، عثمان سعيدي ، الامازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الافريقي عبر التاريخ 1996ص 59.

4-السيدة عالمة نظرة علي تاريخ بجاية ، مجلة الأصالة ، السنة 4، العدد19ص84.

5-البيزنطيين ينتسبون الي روما ينظلر ، محمد الهادي حارش ، نفس المرجع السابق ، ص263 ، حسين عبد الوهاب حسن ، معالم التاريخ البزنطي السياسي و الحضاري ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 2001ص-24 25.

ابتداءامن القرن7م، وقضوا تقريبا على الدين المسيحي واليهودي[1] ،وبعد هذا الفتح انتعشت وأسعفت الحياة ببجاية واستقرت الأوضاع بها ، فالمسلمون جلبوا معهم الحضارة،ودين كله سلام وأمان ،ومنذ سنة 807 م أضحت بجاية وغيرها من المدن الإفريقية تحت الحكم الإسلامي فتاريخ بجاية ظهرمن جديد في عهد الدواة الحمادية [2] . و ذلك أن الحمادين نقلوا عاصمتهم من القلعة[3] التي شهدت تدميرا على يد الأعراب بني هلال [4]، و أمام هذا الوضع المزري، كان لبد للأمير الحمادي الناصر بن علناس أن يبحث عن موضع جديد اتخذه كعاصمة لدولته بدلا من القلعة ، وقد وقع اختياره على بجاية[5] وقد أبهرته بموقعها الحسن ، فهي موقع متفتح على كل التيارات كما أنها كانت همزة وصل بين القوى الداخلية والخارجية ، بالإضافة إلى تمتعها بالحصانة الطبيعية

.

1-السيدة عالمة ، نفس المقال السابق ص 84 .

2 - للاطلاع اكثر عن تاريخ الدولة الحمادية ينظر ،أبي الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج 8 ،ص 68 ، عبد الرحمان بن خلدون العبر ج 6 ، ص202 ، لسان الدين بن الخطيب ، نفس المرجع السابق ،ج 3 ، ص ص-85-86-87، محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ط 3، لبنان دار المسيرة ،1993،ص ص103،104،رشيد بورويبة ،الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر1397ه1977 ، اسماعيل العربي ، نفس المرجع السابق ، Gaid Miloud histoire de bijaia et de sa région depuis l'antiquité Jusqu'à 1954pp62-63 .

3-القلعة بناها الأمير الحمادي حماد بن بلكين سنة 398 -1007 - 1008 م بجبل كتامة أو يسمي أيضا بجبل عجيسة به قبائل عياض .استغرق بناء قلعة بن حماد أو قلعة أبي طويل عامين ، ثم احيطت بصور عام م 404-1014 ونقل إليها الأمير ، سكان مسيلة وحمزة وجراوة وأنزلهم القلعة انظر عبد الله البكري ،نفس المصدر السابقة ج3ص 86.

4- بنوا هلالاو الهلالية أخلاط من القبائل العربية ،وسليم اقوي العناصر الهلالية ولقد الحقة هؤلاء بالأمير ناصر بن علناس هزيمة في واقعة سبيبية قرب القيروان كما طوقوا الحصار على القلعة ينظر، عبد الرحمان ابن خلدون العبر،ج6 ،ص205 .

5- بعدما أشار عليه محمد بن بعبع وزير ابن عمه الأمير الزيرى تميم ، بان يتخذها دار ملك بعد خراب القلعة كما أكده له أيضا انه سينتقل بأهله إليه ويكون له مدبرا لدولته ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج1 ،ص270.

فسارع الأمير الحمادي الناصر بن علناس في اختطاط المدينة وبناءها [1]سنة 460هـ1169-م ، وبعد سنة من تشييدها نقل اليها الناس وكل المدخرات و العتاد وسماها بالناصرية نسبة لاسمه ، كما نضم امور رعيته واسقط الخراج وبني بها القصور كقصر اللؤلؤة وسور[2] ودور لصناعة المراكب لغناها بالأخشاب بسبب كثرة الغابات بها لكن اسم الناصرية غلب عليه اسم بجاية أو بغاييث أو بقايا باللهجة البربرية[3].

غدت بجاية منذ تأسيسها قطبا هاما وقبلة للزوار و العلماء ، لقد شهدت ازدهار في جميع الميادين ما أهلها في عقد عدة اتفاقيات مع الدول المجاورة ، فكانت للبجائيين علاقة مع أبناء عمومتهم الزيريين[4] والمرابطين [5] وأيضا مع بلاد المشرق والعالم المسيحي، اذ كانت بين البابا غريغوا السابع والأمير الحمادي الناصر بن علناس رسائل ودية.

آلت بجاية إلى الحكم ألموحدي والحكم الحفصي ما بين القرنين (6-7هـ/12-13 م) عرفت خلالها تغيرات سياسية واقتصادية سرعان ما تقلصت بعد انقضاء القرن السابع الهجري، فشهدت ضعفا وانقسام في نضام الحكم واستقلالها عن الحكم

1-ينظر ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج8 ص374،عبد الرحمان بن خلدون ،العبر،ج6،ص206.
2-يصف صاحب كتاب الاستبصار هذا السور فيقول:«سور عظيم والبحر يضرب فيه »، ينظر ، مؤلف مجهول ،الاستبصار، ص130.
3-احمد شنتاوي، وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية، ج3 ص351.
4-الزيريون ينتسبون الى الزيرى بن مناد الذي أقام ابنه بلكين بن الزري بن مناد ، الدولة الزيرية الصنهاجية ، ينظر، عبد الرحمان بن خلدون ، العبر، ج 6،ص183-193.
5-المرابطين ، ينتمي المرابطون إلى قبائل صنهاجة ، التي كانت تستقر بالصحراء و هم ينتسبون إلى قبيلة لمتونة ، أول من ترأس آمرهم الأمير الصنهاجي يحيا بن إبراهيم الكندالي ، بدأت هذه الدولة كحركة دنية إصلاحية سرعان ما تطورت إلى حركة سياسية خاصة في فترة حكم يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الذي بني مدينة مراكش ينظر ، لسان الدين بن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ج3 ،ص ص 233- 252.

المركزي.

وعليه عرفت مدينة بجاية محطات مختلفة لعب فيها حكمها وولاتها أدوارا في تنميتها وضمان استمراريتها كقطب ومركز هام عبر عهود طويلة تميزت فيها لتحتل بذلك حضوه كبيرة في أوساط باقي مدن المغرب الإسلامي خاصة في الفترة التي نحن في صدد دراستها إلا وهي القرنيين 6-7هجريين-12-13ميلاديين.

الفصل الأول:

- تاريخ بجاية الموحدية والحفصية بين القرنيين

(6-7هـ/ 12-13م) -

1- بجاية الموحدية:

أ- ابن تومرت ورحلته العلمية:

ب- عبد المؤمن بن علي يفتح بجاية:

ج- بجاية تحت الحكم الموحدي (1152-1230م):

د-حركة بني غانية:

2- بجاية الحفصية:

أ- استقلال أبي زكريا الحفصي عن الدولة الموحدية:

ب- الأمير الحفصي أبي زكرياء يضم بجاية لملكه:

ج- وضع بجاية بعد وفاة أبي زكريا:

1- بجاية الموحدية:

في مطلع القرن (6 هـ-12م)، بدأت البوادر الأولى بظهور دولة بربرية جديدة انطلقت كحركة دينية، تزعم مبادئها، و الدعوة إليها ،منظّرها محمد بن تومرت [1]المؤسس الأول لركائز الدولة الموحدية، يرجع نسبه إلى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام [2] كان محمد بن تومرت او المهدي كما سماه إتباعه، عالما فقيها ،فصيح اللسان ،مقتدرا، فأهل بيته أهل نسك، ورباط ،فهذا المحيط كان عاملا أساسيا في حبه للعلم، حتى انه نعتا باسم اسافو[3].

أ- ابن تومرت ورحلته العلمية:

توجه ابن تومرت نحو الأندلس[4] لينهل من منابع العلم، ومصادره بعدما تعلم على يد علماء المغرب، فرغب في المزيد من العلم، فكانت قرطبة [5] ، أول

---

1 -أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ، المنعوت بالمهدي الهرغي ،وينسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب،ولد ابن تومرت بجبل السوس بالمغرب الأقصى ينظر: شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان, وفايات الأعيان و أبناء الزمان, باعتناء محي الدين عبد الحميد, القاهرة, ج5, 1367 هـ, 1948 م 1369 هـ,, 1950, ص ص 45, 46. ابوعبد المجيد نجار ، المهدي بن تومرت أبو عبد الله المغرب السوسي المتوفى سنة 524هـ-1129م ،حياته وآراءه و ثورته الفكرية و الاجتماعية وأثره بالمغرب ،ط1 دار المغرب الإسلامي، ،1403هـ-1982 ،ص ص 24، 31 ،ولتعرف عليه أكثر ينظر ،ابوبكر بن علي الصنهاجي البنيق ،كتاب ، أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، 1395هـ-1975م.

2 -ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج 6،ص 266 ،مؤلف مجهول ، الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية ،حققه سهيل زكار ،عبد القادر زمام ،ط 1،الدار البيضاء ،دار الرشاد الحديثة ، 1399هـ -1979 م ، ص 17.

3 -عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج6، ص 266 ، واسافو كلمة بربرية معناها الضياء ،إذ كان بن تومرت يشعل القناديل بالمساجد.

4 -الأندلس جزيرة كبيرة ،ذات ثلاث جهات مشكلة بذلك مثلث يحيط به البحر من جهات ها الثلاثة فتطل من الجنوب على البحر الشماسي ،ومن غربها يحدها البحر المظلم ،اما شمالا البحر الانقليشن (الانجليزي) و الجزيرة مقسومة في وسطها بجبال الشارات ،وتسمى اشبانيا (اسبانيا) ،انظر ياقوت الحموي ،معجم البلدان ج1 ص ص 262،263

5 -ينظر: ابن عبد الله محمد بن ابراهيم الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية, المكتبة العتيقة, تونس, بدون تاريخ, ص 40. وقرطبة مدينة بالأندلس ،كانت بها ملوك بني أمية ،ينظر ،ياقوت الحموي،

مدرسة أندلسية له، ثم واصل رحلته منها إلى المهدية [1] ،ومنها إلى الإسكندرية [2] التي أخذ بها عن كبار علمائها وبعدها انتقل إلى بغداد [3] .وبالعراق درس عن الإمام أبي حامد الغزالي[4] ومكث بها سنوات تشبع من علم الكلام وعقائد الاعتزال والأشاعرة[5]، وبعد رحلته الطويلة في المشرق، عاد إلى المغرب في شهر ربيع الأول سنة 510هـ -1116م[6] وكانت طرابلس [7] أول بلاد المغرب حط بها، وكان كل بلد يدخله، إلا ويقدم المواعظ و الدروس والإرشادات الإصلاحية ،وكانت بجاية من ضمن البلاد ، و التي استفاد أهاليها من دروسه وارشدا ته.

معجم البلدان ،ج 4،ص 31. أبي محمد عبد الواحد بن علي المراكشي, المعجب في تلخيص أخبار المغرب' اعتناء صلاح الدين الهواري, ط1 بيروت, المكتبة العصرية, 1426 هـ / 2006م, ص ص 266, 267.

[1] -المهدية : مدينة بناها الخليفة الفاطمي عبيد الله الشيعي ،وهي تقع بتونس ،ينظر مؤلف مجهول ،الاستبصار ص 117 .

[2] -عبد الواحد المراكشي ،المعجب, ص 168.

ومدينة الإسكندرية مدينة مصرية ساحلية ،يصفها ابن بطوطة أنها :" الثغر المغروس ،والقطر المأنوس العجيبة الشأن ،" ولها عدة أبواب ومرسى عظيم الشأن ، واسمها نسبة لملك اسكندر المقدوني ، الذي بناها ينظر :رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،ط1 ،بيروت ،لبنان دار الكتاب العلمي ،الدار الإفريقية العربية ، 1991م ،ص 21.

[3] -بغداد: عاصمة العراق اليوم ،وبالأمس كانت عاصمة الخلافة العباسية فهي " دار السلام ،وحضرة الإسلام ،قال فيها أبو الحسن بن جبير رضي الله عنه ،وهذه المدينة العتيقة ،وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية ،ومثابة الدعوة القرشية فقد ذهب رسمها ،ولم يبق الاسمها " ينظر :رحلة ابن بطوطة ، المصدر السابق ،ص 104

[4] -الزركشي ،نفس المصدر السابق ،ص 40 ، و الإمام الغزالي هو : أبو حامد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي, ولد سنة 450هـ بقرية طوس بالعراق و توفي 505 هـ, ينظر أبي حامد الغزالي, إحياء علوم الدين, راجعه محمد سعيد محمد, م1, ط1, دار البيان العربي, 1426هـ / 2005م ، ص 4- 6.

[5] -الاعتزال و الاشاعرة : فرقتان إسلاميتان ،فرقة المعتزلة من أعظم مدارس الفكر والنظر ،ظهرت في مطلع القرن 2 هـ-8م بمدينة البصرة العراقية ،مؤسسها واصل بن عطاء، أما الاشاغرة ،فهي مدرسة انبثقت من المعتزلة ،وكانت بينهما خلافات واختلافات ،مؤسسها أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .ينظر :حنا الفاخوري ،وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ،ج1 ،ط 3 ،بيروت ،دار الجيل ،1993،ص ص 140،176.

[6] -علي بن أبي زرع ،نفس المصدر السابق ،ص 173.

[7]- طرابلس: تقع بافريقية ،وهي الآن عاصمة ليبيا ،كما توجد مدينة بلبنان تسمى بطرابلس لكن المقصود في النص هي طرابلس المغرب العربي.

يقول عبد الرحمن بن خلدون: أن ابن تومرت عندما وصل إلى بجاية سنة 512هـ-1118م[1] ،بعد رحليه من قسنطينة [2] ،نزل بمسجد الريحانة [3] وأخذ يلقن الدروس والمواعظ الدينية لسكان بجاية ويعلمهم أصول الدين والحديث فالتف الناس من حوله [4] لشدة ورعه وبغضه للمنكرات التي وجد عليها البجائيون فكان " ينهى الناس عن الأقراق الزرارية[5] ،وعمائم الجاهلية ولباس الفتوحات للرجال ،ويقول :" لاتتزينوا بزي النساء لأنه حرام "[6] . كما استطاع أن يجذب إليه علماء بجاية ، ومن بينهم محرز وإبراهيم الزيدوني وإبراهيم بن محمد الميلي ،ويوسف بن الجزيري الجراوي ،وعبد الرحمن بن الحاج الصنهاجي القاضي وهؤلاء كانوا يحضرون دروسه في شهر رمضان ،فإقامة ابن تومرت ببجاية ، صبغت العديد من المظاهر لاسيما الأخلاقية ،ففي عيد الفطر كانت تقاموا ببجاية احتفالات كبيرة ،بالساحة العمومية، يختلط فيها الرجال بالنساء ففوجئ ابن تومرت بهذا الوضع ودخل عليهم بالعصي يمينا وشمالا ،حتى بددهم [7].

1- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج6 ،ص 267 ،مؤلف مجهول للحلل الموشية ،ص 106،الزركشي ،نفس المصدر السابق ،ص 05، زين الدين عمر بن الوردي, تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي), تحقيق أحمد رفعت البدراوي, ج1, دار المعرفة, بيروت لبنان, ط1, 1389هـ / 1970 م, ص 43.

2 -قسنطينة : مدينة وقلعة ،من حدود افريقية ،مما يلي المغرب ،تجاورها قلعة بني حماد جنوبا ،وقسنطينة اليوم إحدى مدن الجزائر الواقعة شرقا ،ينظر : ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج4،ص51.

3 -البيدق ،نفس المصدر السابق ،ص 36.

4 -عبد الواحد المراكشي ،المعجب ،ص 180.

5- الأقرار الزرارية: وهي نعال مذهبة، ينظر: صالح أبو دياك، "مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري"، أبحاث اليرموك، م12، العدد 02، 1417هـ/1996م، ص 224.

6- البيدق ، المصدر السابق ،ص 36

7 -البيدق ، المصدر السابق ،ص 36, أما عبد الرحمن بن خلدون له رواية أخرى يذكر فيها أن ابن تومرت دخل" بجاية وبها إذا عيد العزيز بن المنصور بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة،فكان من المترفين فأغلظ له ولأتباعه بالنكير، وتعرض يوما تغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة ذكرها السلطان و الخاصة وأتمروا به" العبر ،ج6،ص 267 .

وبعد هذه الحادثة استدعاه صاحب بجاية[1] ليستفسر منه، فدار بينهما حوار انتهى بنصيحة الأمير الحمادي ،للإمام بن تومرت على انه لا جدوى من محاولاته الإصلاحية ،إذ قال له " يافقيه لاتامر السوقة بالمعروف، وهم لا يعرفونه ،فاني أخاف أن يأمروا فيك ،وتهلكهم ،لا يستوي حر كريم مع شيطان رجيم "[2] وبعدها أمره بالخروج من بجاية [3] ،فلجا ابن تومرت إلى بنو وریاكل الصنهاجيين بملالة[4] ،فاستقبلوه ، ووفروا له العناية.

كما بنى له عبد العزيز الأمير الحمادي ،مسجدا بملالة،فأقبل الطلبة يصلون إليه من كل مكان [5] ،غير أن ابن تومرت ،رجع ثانية إلى بجاية ، وعند وصوله إلى باب البحر أحد أبواب المدينة سكب الخمر، وقال :" المؤمن ثمار،والكافر خمار" [6] ،فأغضب هذا الأمر سكان بجاية فطلب صاحب بجاية من قبيلة بني وریاكل تسليمهم إياه ،لكنهم أبوا وبقي الإمام بينهم يدرس بالمسجد [7] ،غير أن الحال المائل في بجاية ظل يزعجه ،وقرر أن لا يهدأ له بال حتى يقضي على هذا المنكر ،الذي تعود عليه البجائيون ،وبالفعل سينتهي لهوهم ومغالاتهم على يد خليفته واحد تلاميذه الذي التقاه ببجاية ،وارتحل معه منها إلى المغرب الأقصى ،وهو عبد المؤمن بن علي الكومي [8] ويروى عن زين الدين بن الوردي أن عبد المؤمن بن

---

1 يحيا بن العزيز :ينظر: لسان الدين ،أعمال الإعلام ،ج 3،ص 99

2 البيدق ،نفس المصدر السابق ،ص 36.

3 عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،ص 180.

4 – عبد الرحمن بن خلدون ، العبر،ج 6، ص 267 وملالة تقع قرب بجاية على الساحل البحري، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 313.

5-البيدق ، المصدر السابق،ص 36

6 – البيدق، المصدر السابق، ص 36.

7 –عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 267.

8 –هو عبد المؤمن بن علي ،بن مخلوف بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير بن موسى بن عبد الله بن يحيا بن ورنيغ بن صطفور اوكومية أخوة لماية ، ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6 ،ص 149.

علي " نفر من بجاية وصار معه" نحو المغرب الأوسط والأقصى، هذا الأخير هو المـــكان المناســـب لنشر تعاليمه، و القاعدة المناسبة أيضا لتـــأسيس دولته فيما بعد[1] بقيادة عبد المؤمن بن علي الذي واصل حربه ضد المرابطين إلى غاية القضاء على آخر سلطانهم، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين.

ب- عبد المؤمن بن علي يفتح بجاية:

بعدما اشتد الصراع بين المرابطين والموحدين، طلب تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين يد المساعدة والمدد من أبناء عمومته الحماديين وبالفعل وصلته امدادات الأمير الحمادي يحيا بن العزيز[2] لكن الجيش الموحدي ألحق بالجيش الصنهاجي هزيمة بموقع تلمسان[3] كما واصلوا زحفهم نحو وهران[4] ففتحوها وأنهو أمر المرابطين نهائيا سنة 540هـ/1146م. وبعدها توجهت أنظار عبد المؤمن بن علي إلى الشرق بالضبط إلى بجاية. ومن بين الدوافع توجهه إليها هو اغتصاب الفرنجة لمملكة بني باديس الزيريين[5] وسقوط المهدية بيد الصقليين[6] سنة 543هـ-1148م، فاستنجد المسلمون بالخليفة الموحدي، الذي استعصى عليه

---

1 -gaid mouloud , histoire de Bejaia, p173.

2- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص 103.

3- تلمسان: مدينة تقع غرب الجزائر، كانت في القديم عبارة عن قريتين أغادير التي بناها إدريس الأول وقرية تقرارت التي بناها يوسف بن تاشفين، إنظمت القريتان فأصبحتا تشكلان مدينة واحدة وهي تلمسان عاصمة بني زيان، ينظر: ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج 2 .

4- وهران: مدينة في غرب الجزائر، يذكرها ياقوت الحموي على أنها "مدينة صغيرة، على البحر وأكثر أهلها تجار ولقد بناها مجموعة من الأندلسيون وعلى رأسهم محمد بن أبي عون"، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 464.

5- ابن عذارى المراكشي ،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،قسم الموحدين ،تحقيق ،محمد إبراهيم الكتاني ، محمد بن تاويت عبد القادر زمامة ،ط1،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1406هـ-1989 م ص 45، عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6، ص 278.

6- صقليون نسبة لجزيرة صقلية فتحها المسلمون سنة 212م ،وهي من الجزر ايطالية الموازية لبعض بلاد افريقية، ينظر :لسان الدين بن الخطيب ،أعمال الإعلام ،ج3،ص 101.

محاربة الفرنجة بسبب الدولة الحمادية الفاصلة بين ملك، وافريقية [1] ،فكان لابد من الإستلاء على بجاية أولا، ليسهل أمر استنجاد إخوانه المسلمين، في بجاية كانت في هذه الفترة تعيش مرحلة الضعف والانحطاط بسبب فساد أمرائها، وانغماسهم في اللهو والترف ،حتى أن يحي بن العزيز،آخر أمراء الدولة الحمادية ،لم يصد هجوم الجنويين [2]على بجاية سنة 530هـ -1136 م ،ناهيك عن غارات بني هلال التي زادت من ضعف سلطان الحمادي فكل هذه العوامل حفزت الخليفة الموحدي ،على ضم بجاية و الدولة الحمادية إلى ملكه ،خاصة بعد أن تمّ له ملك المغرب.

استشار عبد المؤمن بن عـــلي، شيوخ الموحدين ، كالشيخ أبي حفص وأبي إبراهيم[3] لغزو بجاية .

1- افريقية سميت افريقية ،لان قوما من الأفارقة سكنوها ،وهم أولاد فاروق بن المضر من العرب العاربة ينظر :مؤلف مجهول ،الاستبصار ،ص،111.

2- الجنوبين :نسبة لمدينة جنوة الايطالية الواقعة جنوب أوربا تطل على البحر الأبيض المتوسط.

3- ابن عذارى المراكشي ، نفس المصدر ،ص45.

فخرج من مـــراكش [1] سنة 546هـــ -1151 م [2] تاركا الشيخ أبي حفص الهنتاتي [3]نائبا علـــى المغرب ،فاعتقد الناس انه خرج لغزو الروم بجزيرة الأندلس [4].

وبالفعل " اســـتوضح أحـــوال أهل الأندلس " [5] ،فبـــعد خروجه أقام بسلا [6]شهرين تم واصل سيره إلى سبتة[7].

حيث استدعى بها طلبة اشبيلية [8] وقرطبة وفقهاء وقواد الأندلس ،فأوصاهم بما أراد[9]،ثم واصل سيره نحو بجاية وفي الطريق نادى منادي أنه من تكلم من الجيش بكلمة معناها أين هو المشي ،إلى الشرق والى الغرب أو القبلة فجزاءه السيف[10] ،وبهذا التزم كل من سار مع الخليفة إلى بجاية بالسرية التامة حتى وصلوا إلى أسوار جزائر بني مزغنى، وفي سنة 547هـــ-1152م استطاع

---

1 -مراكش: مدينة بالمغرب الأقصى ،بناها الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين, سنة 462 هـ ينظر لسان الدين ابن الخطيب أعمال الأعلام, ج3, ص 234- 236.

2- ابن عذارى المراكشي ، نفس المصدر ،ص45

3- أبا حفص الهنتاتي أحد أصحاب العشرة لابن تومرت ،وهو جد الحفصيين الذين سينشاؤون الدولة الحفصية في مطلع القرن (7هـ -13 م).

4- النويري أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب, تحقيق مصطفى أبو ظيف أحمد, جزء خاص بالمغرب, تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط , افريقية و المغرب و الأنـدلس صـقلية أقـراطـش (27هـ- 719هـ- 647 م - 1319م), دار النشر المغربية, دار البيضاء, ص 415.

5 -عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6،ص 278.

6- سلا : مدينة بالمغرب الأقصى تقع على ساحل المحيط الأطلسي, ينظر لسان الدين ابن الخطيب, أعمال الأعلام, ج3, ص 165.

7 -سبتة : تقع شمال المغرب الأقصى و هي عبارة عن شبه جزيرة في مضيق طارق و هي اليوم تابعة للإسبان, ينظر لسان الدين بن الخطيب, أعمال الأعلام, ج 3, ص ص 202- 203.

8- اشبيلية مدينة كبيرة بالأندلس ،قاعدة ملك بنو عباد ،وهي اليوم من أهم المدن الإسلامية ،ينظر ،ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج1،ص 159

9- ينظر :ابن عذارى المراكشي ،نفس المصدر ،ص45،مؤلف مجهول ،الحلل الموشية ،ص148،عبد الرحمن بن خلدون العبر ،ج6،ص 278: علي بن أبي زرع، نفس المصدر السابق ،ص 192.

10- ينظر : بن الأثير -الكامل في التاريخ ،ج9،ص 372،بن عذارى ،المصدر نفسه ،ص 76،مؤلف مجهول الحلل الموشية ،ص 149.

الموحدون التغلب على مليانة [1] . و الجزائر [2] هذه الأخيرة التي طوقها على حين غفلة من ساكنيها ،وكان حاكمها القائم بن يحيا بن العزيز ولي عهد بجاية، والذي فر هاربا إلى أبيه ،تاركا المدينة في قبضة عبد المؤمن بن علي ، الذي دخل المدينة "صلحا وامن أهلها" [3]، ولما آلت له المدينة، خرج في استقباله الأمير الحسن بن علي بن يحيا بن تميم [4]، الذي كان أميرا على المهدية ،لأنه كان صديقا للخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي[5].

أما الأمير الحمادي يحيا بن العزيز ،الذي اعتاد على حياة اللهو والصيد ،لا يهتم بشؤون وأمور رعيته ،بل كان منغمسا في ملاذه ففوض أمور دولته لوزيره ميمون بن حمدون ،الذي سمع بقدوم الموحدين، فنهض لمواجهتهم ،لكن الجيش الصنهاجي لم يواجه الجيش الموحدي بسبب كثرة جنده[6]،غير أن عبد الرحمن بن خلدون والناصري يتفقان على رواية واحدة وهي أن الجيش الموحدي " اعترضته جيوش صنهاجة بأم العلوم ، فهزمهم وصبح ببجاية من الغد فدخلها"[7] على ما

1- مليانة : مدينة في آخر افر يقية بينها وبين تنس أربعة أيام، ولقد بناها الروم ،وجددها زيري بن مناد واسكنها بلكين الحمادي ،ينظر :ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج4، ص 318.

2 -أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني ، رحلة التيجاني ،قد لها حسن حسني عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية بتونس 1378هـ -1958م ،ص 343.

مدينة الجزائر كانت قديما تحمل اسم "ايكسيوم"،ثم استقرت بها قبيلة بربرية تسمى 'بني مزغنة" ،وفي القرن 4هـ ،أسس بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي مدينة " الجزائر بني مزغنة "، ولقد توسع عمرانها في القرن 9هـ-15م إلى حوالي أربعة آلاف دار ،ينظر : احمد توفيق المدني, كتاب الجزائر, ص 193- 201.

3-علي بن أبي زرع ، المصدر السابق ،ص 193.

4- بعد سقوط المهدية ،خرج منها متوجها إلى بجاية ،لكن الأمير يحي بن العزيز لم يستقبله جيدا ،وآمرات يعدل به إلى الجزائر ،فانزلوه هو وأولاده بها ،كما منع من السفر ،وكان بمثابة المسجون ،هذا الأمر ولد فيه روح الانتقام من ابن عمه يحي بن العزيز ،الذي حرص عليه الخليفة عبد المؤمن بن علي ،عند دخوله إلى الجزائر ،انظر التيجاني ،نفس المصدر ،ص 343.

5- أحمد التيجاني: نفس المصدر السابق، ص 343.

6- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج 9،ص 372.

7- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6، ص 279، أحمد التيجاني, نفس المصدر السابق, ص ص 343, 344, السلاوي احمد بن خالد الناصري, الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى, ج 2, الدولتان المرابطية و الموحدية, تحقيق و تعليق أحمد الناصري, جعفر الناصري, دار البيضاء 1954, ص 127.

يروى بمساعدة الوزير ابن حمدون ،حيث كان يبنه وبين الخليفة عبد المؤمن بن علي كتب ومداخلات، ويذكر أنه فتح باب بجاية للخليفة عبد المؤمن بن علي[1] ،لقد أصبح في خدمة الموحدين ،هو وأخوه الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن مدون[2]، وقبل أن يتم فتح بجاية، فرض المـــوحدون حصارا عليها [3]،ترتب عنه فرار صاحبها يحيا بن العزيز ،الذي ركب البحر بعدما جهز أسطولين ،يحملان ذخائره وأمواله ،فتوجه نحو بونة [4]، التي بها أخاه الحارث والذي وبخه، وأنكر عليه سوء صنيعه [5]، لكنه ضاق مقامه عند أخيه ،فخرج عنه قاصد أخوه الحسن بن العزيز ،صاحب قسنطينة في شهر ذي القعدة سنة 547هـــ-1152 م الذي أكرمه وبقي بقسنطينة إلى غاية سقوطها بيد الموحدين.

وبعد سقوط بجاية، سقطت القلعة في يد الموحدين[6] ثم حاصر الموحدون قسنطينة حصارا شديدا، فأرسل يحيا بن العزيز شيوخ صنهاجة إلى الخليفة عبد المؤمن بن علي، يطلب الأمان ،فكان له ذلك ،كما تمت مبايعة الخليفة الموحدي من طرف يحيا بن العزيز ،الذي انتقل معه إلى مراكش من نفس السنة [7] فنزل بها

1- ينظر المؤلف مجهول ،الحلل الموشية ،ص 149،ابن عذارى المراكشي ،نفس المصدر ،ص46.

2 -محمد عبد الله عنان ،دول الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين و الموحدين في المغرب والأندلس ،القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية ،ط 2، القاهرة ،مكتبة الخانجي 1411هـــ-1990،ص 282.

3- عبد الواحد المراكشي ،المعجب ،ص152.

4-بونة: مدينة قديمة ،تقع على الساحل الجزائر ،بها آثار كثيرة ،كانت تعتبر من أهم موانئ التجارية الفينيقية بشمال إفريقيا ،تسمى اليوم بعنابة (بلاد العناب) ينظر :مؤلف مجهول ،الاستبصار ،ص127.

5-ينظر : الناصري -الاستقصا ،ج2،ص 121، أبو محمد عبد الله بن محمد بن احمد التيجاني ،رحلة التيجاني ص 344، أما عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6، ص 279 ، المؤلف مجهول ، الحلل الموشية ،ص 150، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج9، ص 372، لم يذكروا نزول يحيا بن العزيز إلى بونة ،بل توجه مباشرة إلى قسنطينة.

6 -بن الأثير ،الكامل في التاريخ ،ج9،ص 373.

7 -مؤلف مجهول، الحلل الموشية ، ص 149.

أحسن مقام ،ممارسا هوايته المفضلة وهي الصيد إلى غاية وفاته.وبذلك ينتهي آمر آخر أمراء الدولة الحمادية .

وبعد سقوط بجاية ،عزّ على قبيلة صنهاجة سقوطها بسهولة ،فتجمعت هـذه القبيلة وقبائل أخرى من كتامة ،ولواتة في عدد لا يحصى يرأسهم رجل اسمه أبـو قصيبة[1] وقصدوا حرب الموحدين[2]، وبالفعل التقى الطرفان في عـرض جبـل الشرقي ببجاية ، الجيش الصنهاجي بقيادة أبو قصيبة ، والجيش الموحدي بقيادة أبو سعيد يخلف[3] ودارت بينهما معركة ،استطاع فيها الموحدون أن يلحقوا بجيش أبو قصيبة هزيمة وما أن انتهى الموحدون من هذه الثورة ، حتى ظهرت ثورة أخرى تزعمها أعراب من الاثيج ، وزغبة ،ورياح ،تجمعوا كلهم من أجل ، القضاء على الوجود الموحدي بالمنطقة ،لاسيما أن نفوذ الموحدين توسع وشمل معظم منـاطق البلاد وعليه خاف الأعراب أن يصل هذا التوسع إلى مناطقهم ،وبالتالي يجلّون من المغرب [4] لهذا عجلوا في البدء بمحاربتهم قبل أن يفتكوا بهم ،فـشهدت منطقـة سطيف [5] معركة ضارية بين الطرفين سنة 548هـ-1153م ،تمكن الموحـدون من السيطرة على الوضع وهزيمة الأعراب في أكثر من موقع[6] لكن رغـم هـذا عامل الخليفة عبد المؤمن بن علي هؤلاء الأعراب معاملة حسنة، إذ ردّ لهم الغنائم

---

1 -أبو قصيبة ، رجل من بني زلدون ،إحدى بطون صنهاجة ينظر :سعد زغلول عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال (ليبيا, تونس و الجزائر و المغرب) ج1, منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية , 2003 ، ص 392.

2- النويري نفس المصدر السابق، ص 416.

3- ابوسعيد يخلف ، أحد أعضاء مجلس الخمسين الموحدي ،ينظر البيذق ، نفس المصدر, ص 115.

4- ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،ج9 ،ص 390

5- ينظر التيجاني، نفس المصدر ،ص 344،عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج6،ص 279، الناصري الاستقصاء، ج2، ص 121، نجيب زينب ، الموسوعة عامة لتاريخ المغرب و الأندلس ،ج 2 ،احمد بن سودة ،ص335 و مدينة سطيف تقع وسط الجزائر, تكثر فيها الفواكه لاسيما الجوز, حسب قول الإدريسي ينظر لسان الدين بن الخطيب, أعمال الأعلام, ج3, ص 39.

6- ينظر ،عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج6،ص 279، الناصري ،الاستقصا ،ج2 ،ص 121 ،عبد الله عنان ،دولة الإسلام ،ص 284.

و الأموال ،وأطلق سراح الأسرى [1] ولشدة ذكائه وفطنته التي اتصف بهـا منـذ صغره [2] استطاع أن يستميلهم إليه ،ويجعلهم في متناول يده ،في صد أي هجـوم محتمل على الدولة الموحدية ،وبالفعل ادمجوا في محاربة النـصارى بالأنـدلس وبهذا استطاع الموحدون ،أن يوحدوا شمل المغاربة ،فملكـوا المغـرب الأقـصى والأوسط وافريقية، وقضوا على الفرنجة بجيجل [3] و المهدية وتونس كما قـضوا على التمردات و الثورات الداخلية ،وهذا الاستقرار الذي فرضته الدولة الموحديـة جـلب إليـها المزيد من الوفـود مـن مختلف المـدن التونسـية و الليـبية.

جـ- بجاية تحت الحكم الموحدي (547هـ- 1152م/627هـ-1230م) :

وبعد سقوط بجاية إحدى معاقل الدولة الحمادية سنة 547هـ-1152م انتهى عهد دولة إسلامية بربرية ،التي دام إشعاعها السياسي و الحضاري لمدة 62 سنة، فصارت إحدى أقاليم الدولة الموحدية، وبالتالي أصبحت بجاية ضمن مدنها.

وتولى حكم بجاية مجموعة من الولاة، الموحدين منهم "محمد عبد الله بن عبد المؤمن بن علي"، الذي كان مدمنا على شرب الخمر، كما عرف باختلال الرأي وكثرة البطش وحبه لنفسه[4]، وبسبب أخلاقه المنحطة ،أبعده أبوه عن الخلافة من بعده وكفاه بحكم بجاية فقط، وبعد وفاة الخليفة عبد المؤمن، يوم 11 جمادى الآخرة سنة 558 هـ-1163م، تولى من بعده يوسف بن عبد المؤمن بن علي الذي لم يلق الترحيب و المساندة من طرف أخويه عبد الله صاحب بجاية ومحمد

1-علي محمد الصلابي، أعلام أهل العلم و الدين بأحوال دولة الموحدين, ط1, مكتبة الإيمان بمنصورة 1423هـ / 2004 م , ص 131.

2 Abed el hamid hadjyate ,abou hamoumen , édition ,paris ,1983, p09.

3- جيجل : مدينة ساحلية جزائرية أسسها القرطاجيون, استمرت أهميتها البحرية عند الفتح العربي القرن 16 م, ينظر أحمد توفيق المدني, كتاب الجزائر, ص ص 201- 202.

4-عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،ص 179.

صاحب قرطبة اللذان امتنعا عن مبايعته أما الخليفة فلم يعرهما اهتمامه ،بل قام بتفريق الأموال و الصدقات على القبائل الموحدية [1] وأمام هذا الكرم وسخاء الخليفة سارع صاحب بجاية وصاحب قرطبة سنة 559هـ-1164م طائعين مبايعين لأخيهما الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بن علي فرجعت بذلك بجاية من ضمن أعمال الدولة الموحدية بعد مبايعة صاحبها للخليفة.

ظلت بجاية تحت ولاية عبد الله بن عبد المؤمن بن علي إلى غاية وفاته سنة 561هـ-1166م، وبعد مشاورة الخليفة، آخيه أبا حفص في ولاية بجاية وأعمالها [2] تم اختيار أخيهما أبا زكرياء يحيا بن عبد المؤمن واليا عليها بعد وفاة أخيه عبد الله ،وقبل توجهه إلى بجاية أوصاه أمير المؤمنين الخليفة يوسف على رعاية شؤون وأحوال رعيته حق رعاية، ويوليها كل جهوده .ولقد بقي أبو زكرياء واليا على بجاية حتى وفاته سنة 571هـ-1176م بمرض الطاعون[3].

وفي سنة 576هـ -1179م ولى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أخاه أبو موسى عيسى على بجاية ،ومن بعده تولى شؤونها أخاه أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي إلى غاية وفاة الخليفة سنة 580هـ-1183م، فبجاية خلال 21 سنة تولى عليها أربعة ولاة في عهد الخليفة يوسف، اتسمت أوضاعها بالاستقرار لكنها شهدت في عهد الخليفة عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي اضطراب وتوتر بسبب حركة انتقامية قام بها بعض من الملثمين المتبقين من الدولة المرابطية. لكن قبل أن نسترسل سيرورة هذه الحركة لابد من الإشارة أن الخليفة عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي كان رجلا مقدارا أول عمل قام به عندما

1- علي بن أبي زرع ، الأنيس المطرب ،ص 209.
2- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،قسم الموحدين ،ص 292.
3- مؤلف مجهول ،الحلل الموشية ،ص 185.

تمت له البيعة " أنه أخرج مئة ألف دينار ذهبي من بيت المال ،وفرقها على الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب....، وتفقد أحوال بلاده، ورعيته، وضبط الثغور، وشحنها بالخيل وبالفعل ،وكما أسلفنا ،شهد عهده غزو بـــنو غانية[1] الذين استهدفوا أهم مدن الدولة الموحدية ،ألا وهي بجاية ،قاعدة المغرب الإسلامي.

د-حركة بني غانية:

تعتبر حركة بني غانية من العوامل الأولى التي أثرت في توازن وهيبة الدولة الموحدية ،هذه الدولة بالرغم من بسط سلطانها على كافة البلاد ،إلا أن بعض الأعيان و الأسر الكبيرة ،من بينها بعض البجائيين [2] رفضوا وجود المصامدة ببلادهم ولم ينتهوا عند هذا الرفض فقط بل راسلوا بنو غانية يحرضونهم على حربهم ضد الدولة الموحدية وبالفعل لبّ بنو غانية ،نداء كبار أعيان بجاية بعدما جيشوا جيشا عدته حسب قول ابن الأثير :" مائتي فارس من الملثمين ،وأربعة آلاف رجل "[3] وأسطولا به 32 قطعة ،توجهوا بها نحو بجاية سنة 580هـــ-1183 م أي السنة التي توفي فيها الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن بن علي فانشغلت

---

1 -بنو غانية ،من أعيان الملثمين المرابطين ،امتلكوا جزيرة ميورقة إحدى جزر البليار ،أو الجزائر الشرقية ،وجزيرة منورقة ويابسة ،وأول ملوك جزر البليار ،إسحاق بن محمد بن غانية ،وبعد وفاته خلفه ،ابنه علي بن إسحاق بن محمد بن غانية حتى سنة 600هـــ، الذي هاجم قواعد الموحدين منطلقا من جزيرة ميورقة ،هذه الجزيرة التي طولها 40كلم ،من أخصب البلاد ،بها حصون وقاعدتها ،وأول من فتحها عبد الله بن موسى بن نصير ،الذي فتح أبوه جزيرة الأندلس ،وميورقة ،كانت حصنا منيعا لبني غانية لمواجهة الموحدين ،والأساطيل الصليبية .

ينظر:ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج 10،ص 128 ،عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،ص 28 ،ابن السعيد المغربي ، المغرب في حلى المغرب ،ج1، تحقيق شوقي ضيف ،ط2 ،مصر ،دار المعارف ،1964 ص 466،أبي المطرف احمد بن عميرة المخزومي ،تاريخ ميورقة ،تحقيق ،محمد بن معمر /ط1،بيروت لبنان ،دار الكتب العلمية ،1428÷ـــ-2007م ،ص 28،علي محمد الصلابي ،دولة الموحدين ،ص 196.

2- هؤلاء الأعيان و الأسر ،من كبار الدولة الحمادية ،فضلوا حكم ،أبناء عمومتهم الصناهجين ،بدل من المصامدة ،وعليه طلبوا من علي بن إسحاق بن غانية ، التعجيل بمحاربة الموحدين ،وظفر بحكم بجاية ينظر: محمد بن عمر الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة و حضارة الجزائر، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1985 ص 62.

3- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج 11،ص 508.

في تلك الفترة القوات الموحدية وولاة المدن الذين ساروا إلى مراكش ،وكان من بينهم صاحب بجاية أبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن بن علي ،فغيابه عن المدينة وخلوها من الجيش كان بمثابة فرصة سانحة لتحقيق بني غانية مرادهم وهو الانتقام من الموحدين ، الذين سلبوهم ملكهم وقضوا على دولة الملثمين.

وفي يوم الجمعة سنة 580هـ، وأثناء الصلاة[1]، حطّ أسطول علي بن غانية، بمحل بيع السبي[2] بحومة المذبح ويذكر أن شاطئ بجاية كان شاغرا من الجيش فعندما نزل خيل بني غانية تلقاهم الناس على عادة تلقيهم لأجل السبي،[3]لكن هذه المرة على غير العادة فهؤلاء جاؤوا لغزو البلاد فدخلوا من باب اللوز إحدى أبواب المدينة ،الذي لم يكن فوقه سور فخلوا المنطقة من راعيها ساعدهم على التوغل أكثر بالمدينة ،إذ انفرد علي بن غانية بأهل بجاية وخطب من فوق المنبر معلنا ولاءه للعباسيين كما طالب الناس بالبيعة، [4] وقد مكث ببجاية أسبوعا وهو محاط بالدعم من أنصار المرابطين والساخطين على الحكم الموحدي وخلال وجوده ببجاية قام بتطهيرها من العناصر الموحدية إذ اعتقل وجهاءهم وكبار الدولة ،أما أبو الربيع سليمان فحينما سمع بخبر سقوط بجاية جهز العدة والعتاد، وانضم إليه العرب وبعض قبائل الموحدين ، فنهض لإنقاذ بجاية وتخليصها من الغزو

1- ينظر ابن الأثير ،نفس المصدر ،ج10،ص 128،ويذكر الناصري في كتاب الاستقصا ،أن أهل بجاية وغيرهم من المدن الموحدية ،كانوا يتركون أبواب مدينتهم مفتوح يوم الجمعة ،وهذا قبل الغزوالميورقي لهم فالميارقة دخلوا من باب اللوز ببجاية من غير قتال يذكر ،لكن بعدما أجلاهم الموحدون منها ،أصبحت أبواب المدينة تغلق ،ينظر :الناصري ،الاستقصا ،ج 2،ص 160.

2- أبو العباس أحمد الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية, تحقيق رابح بونار, ط 2, الشركة الوطنية للنشر و التوزيع, الجزائر, ص 77 .

3- نفسه.

4 -نفسه.

الميورقي، فالتقى الطرفان بموضع يعرف بيلميول.[1] ودارت بينهما معارك دامية نتج عنها تلاشي القوى الموحدية ،خاصة بعد انسحاب العرب من صفوف الموحدين وانضمامهم إلى صفوف علي بن غانية [2]، فقويت بذلك عزيمة بنو غانية فاستطاعوا بكل سهولة هزيمة الموحدين ،وعلى أثر هذا فر صاحب بجاية أبو الربيع سليمـــان نحو تلمسان التي كان واليها أبو الحسين علي بن عمر بن عبد المؤمن، [3] ولقد توجه بعدها إلى مراكش حيث التقى بأمير المؤمنين عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن بن علي (المنصور) ،العائد من الأندلس فأخبره بما آلت إليه بجاية كما خوفه عاقبة التواني ،في عدم النهوض إليها ، وتحريرها من يد الملثمين فكانت ردة فعل الخليفة ،أنه جهز جيشا عدته حوالي 20 ألف فارس و أسطول ضخم [4]بينما كان على الجهة الشرقية بن غانية، كما استولى على بجاية وزع دخارها و فرق أموالها على العرب ممن إنضاف إليهم،[5] وكلف بعض شيوخ القبائل المتحالفة معه بإدارة منطقة الصومام و البابور والحضنة وتيطري، كما عين أخاه يحي على كامل تراب بجاية، وكلف أبا محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي بإمامة جامع بجاية والدعوة فيه للولاء بني غانية [6] وبعد انتهائه من أمور

---

1 –بيلميول ،هو موقع بضواحي بجاية ،وسمي أيضا بياميلول ،ينظر : ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب قسم الموحدين ،ص 176.

2– ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج 11، ص 508.

3–ينظر: ابن الأثير، نفس المصدر السابق، ج11،ص508 ،ابن عذاري المراكشي ، البيان المغـــرب ،ص 177،عبد الرحمن بن خلدون ،العبر،ج6، ص 226، بينما عبد الواحد المراكشي ،يذكر أبي الربيع سليمان وصاحبه ، أسرهما العرب ،المنضمين بني غانية الذين طلبوا من الخليفة الموحدي المنصور فدية تقدرب36 ألف متقال من الذهب ،فعمد الخليفة على مخادعة الأعراب ،فأمر أن تضرب الدنانير بالنحاس المذهب ،وبالفعل انطلقت عليهم الخدعة ،وأطلقوا سراحهما المعجب ،ص 198.

4– ابن الأثير ،نفس المصدر ،ج 11، ص 508.

5– عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج 6،ص 226

6 –Gaid Miloud histoire de béjaia,p 81.

بجاية ، خرج لغزو أعمالها ،فكانت مدينة الجزائر ثاني منطقة تخضع له عين عليها ابن أخيه يحي بن طلحة ثم واصل زحفه حتى وصل مازونة [1].

وانتهى إلى مليانة، فولى عليها بدر بن عائشة[2] ثم احتل تلمسان ووهران ،" حتى نزل قلعة بني حماد " [3] بعد محاصرتها وبعدها توجه قاصدا قسنطينة ففرض عليها حصارا دام طويلا وقطع عن أهلها الماء ،فأغاثهم الله بالمطر.

أما الخليفة المنصور، فوض أمر بجاية و المغرب الأوسط إلى ابن عمه القائد أبي زيّد بن أبي حفص بن عبد المؤمن والذي تعاون مع القائد أحمد الصقلي الذي قاد الأسطول في البحر[4] ، فتم لهما تحرير كل المدن التي خضعت لبني غانية سنة 581هـ-1184م، وفي نفس السنة نزلوا على بجاية، التي كان بها يحيا وعبد الله إخوة علي بن غانية ،اللذان فرا منها ،والتحقا بأخيهما علي بعدما أحسّ بدنو الجيش الموحدي برا وبحرا ، فنزلا بقسنطينة التي كان أخوهما محاصر لها لكن ملاحقة الموحدين لهم ،ألزمتهم بالفرار إلى الصحراء ،تاركين قسنطينة في حالة دمار ففك حصارها وتنفس أهاليها الصعداء.

وأبو زيد بن أبي حفص ولى راجعا إلى بجاية ،التي آلت للموحدين من جديد بعد 7 أشهر من سقوطها في يد الملثمين ،بينما علي بن غانية وإخوانه استقروا بمنطقة الجريد جنوب افريقية الشرقية ،والذين سيعاودون تهديد ملك الموحدين من

---

1 -مازونة: كان اختطاط مدينة مازونة سنة 565هـ على يد بني منديل ابن عبد الرحمن المغراوي احد زعماء قبيلة مغراوة ،واسم مازونة نسبة لإحدى فصائل قبيلة مغراة ،ينظر عبدلي لخضر " الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م) ،رسالة دكتوراه ،1425هـ-1426م/2004-2005م ،ص86.

2 -عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6،ص 226.

3 -عبد الواحد المراكشي ، المعجب ،ص 198.

4 -ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ،قسم الموحدين ،ص 76.

جديد، وفي نفس السنة بعد خروج بني غانية من بجاية، ساءت أحوالها بل انتشرت الأمراض ،ونقصت المواد الغذائية التي ترتبت عنها ارتـفاع الأسعار [1]، وهذا الوضع ساهم فيه بنو غانية ، الذين نهبوا أموال بجاية وذخائرها وقسموها فيما بينهم.

كما ظهر غزي الصنهاجي أحد قواد بدر بن عائشة[2]، الذي جيش جيشا من الملثمين و العرب ،وتقدم نحو أشير فاستولى عليها [3] ،فسارع أبو زيد الموحدي وأبي الظفر بن مردنيش لاسترجاعها،وبعد حربهما ضده ،انتهي بقتله وقتل أخيه عبد الله ، وصلبهما على باب مدينة بجاية ليكونا عبرة، أما بجاية فاستطاع أبو زيد إخماد الفوضى و الفتن بها ،إلا أنها بقيت مهددة من طرف بني غانية ،خاصة وأن وضعها الاقتصادي بقي في تدهور و تراجع ، مما اضطر الخليفة المنصور أن يرسل بكتاب إلى أبي زيد يستقدمه فيه من بجاية، وعين مكانه أخاه عبد الله واليا عليها.

وأما في بلاد الجريد اجتمع علي بن غانية بعرب رياح و الاثيج كما انضم إليهم قراقوش[4] ولم يكتف علي بن غانية بهذا الجمع بل طلب المدد من الخليفة العباسي الذي بعث له بها من الشام ومصر وبعد استكماله العدة ،غزى افريقية التي نهض إليها بدوره الخليفة المنصور سنة 582هـ-1185م لتحريرها وفي سنة

1- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب ،قسم الموحدين, ص 181.

2- مصطفى أبو ضيف، اثر القبائل العربية في المغرب في العصر الموحدين وبني مرين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982م، ص 76.

3- ابن عذاري ،نفس المصدر ،ص 181.

4- قراقوش ،اوقراقش ،هو شرف الدين قراقوش الارمي مملوك الملك المظفر ، تقي الدين بن شاهنشاه بن شادي بن اخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ،كانت بينه وبين علي بن غانية مها دفة ،ولقد استولى على منطقة طرابلس ،بعدما تمكن من التضييق على بني غانية ،انظر عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 227التيجاني ،رحلة التيجاني ،ص 103،الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،ص 16.

583هـ-1186م دارت معركة بين الطرفين بموقعة عمرة[1]،كانت الهزيمة فيها من نصيب القوى الموحدية بقيادة الخليفة المنصور الذي لم يستسلم رغم أن بني غانية سلبوهم الخيل والرجال [2] إلا انه صمم على رد الاعتبار للموحدين ،فقام ورتب أمورهم من جديد ،وفي نفس السنة تمكن من فتح جربة كما فتح قفصة [3]وواصل من بعده خليفته الناصر الذي حارب بني غانية بعقر دارهم فلقد وجه حملة كبيرة إلى الجزائر الشرقية (جزر البليار) ، للقضاء على الميارقة فقد قتل عبد الله بن غانية بجزيرة ميورقة ،كما استولوا أيضا على جزيرة منورقة وعليه تم لهم سنة 600هـ -1203م إخضاع كل جزر البليار ،فهذا الفتح كان له وقعا عميقا لدى الممالك النصرانية القريبة من الجزائر الشرقية ،حسب ما تشير إليه رسالة الخليفة الموحدي الناصر حين قال فيها :" ولاخد ميورقة على صاحب أراغون وبرشلونة اشد من رشق النبل وأهول من وقع السيف وأوحش من القطع بحلول الممات"[4]

وفي سنة 601هـ-1204م [5] ،نهض الخليفة الناصر لمحاربة ما بقي من بني غانية بافريقية ،فدارت بين الجمعان معركة هزم فيها يحيا بن غانية وفر بأهله إلى الصحراء ،أما الخليفة الموحدي وقبل أن يرجع إلى مراكش عقد لأبي عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي جد الحفصيين [6]على إفريقية.

1- عمرة منطقة تقع ضواحي قفصه التونسية من أعمال الزاب الكبير بالجريد ، ينظر : ياقوت الحموي ،معجم البلدان ،ج4-ص 77.

2- ابن عذاري المراكشي ،المصدر السابق ،ص ص 187،188.

3 -عبد الواحد المراكشي ،المعجب ،ص 199.

4 -أبي المطرف احمد بن عمير المخزومي ،تاريخ ميورقة ،ص 28.

5 -الناصري ،الاستقصا ،ج2، ص 217.

6- ينظر: في تعيينه واليا على افريقية ،أبي محمد عبد الواحد التيجاني ،رحلة التيجاني ،ص366،مؤلف مجهول الحلل الموشية ،ص161،ابن عداري المراكشي ،البيان المغرب ،ص 245.

2- بجاية الحفصية:

من جملة أسباب تعيين أبا محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي واليا على إفريقية من طرف الخليفة الناصر سنة 603هـ/ 1206م هو علو شأنه وهذا بعدما انتصر على ألفونسو القشتالي، بالإضافة إلى أنه ابن أبي حفص، هذا الأخير الذي ساعد عبد المؤمن بن علي أن يصبح خليفة الموحدين، بالإضافة إلى هذه الأسباب، تمرد بنوا غانية على الخلافة المؤمنية كان سببا رئيسيا في تعيين أبا محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص عمر، ليقطع وجودهم بمنطقة إفريقية التي حدد له الخليفة الناصر مدة ولايته بها ثلاث سنوات[1]، إبتداءا من سنة 603هـ-606هـ/ 1206-1209م.

شهدت إفريقية في عهده الأمن والاستقرار خاصة بعدما وفق في مطاردة وإجلاء بني غانية منها، ففي سنة 604هـ/ 1207م هزمت قوى بنو غانية في معركة وادي شبروو قرب تبسة[2]، على إثرها حول بنو غانية وجهتهم نحو المغرب " فانتهى بسجلماسة التي ألحقوا بها الدمار والفساد، وبعدها انكفئوا إلى المغرب الأوسط "[3] بقيادة يحيا بن غانية، الذي خرج إليه والي تلمسان أبو عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن، والتقى الجمعان بتيهرت أين هزم جيش تلمسان

وهنتاتة ،اسم يطلق على جبل من جبال ا

= ينظر :عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6،ص ص 318،319 ،ابن دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس،ص 153 ،عبد الله الحمادي ،دراسات في الأدب المغربي القديم ،دار البعث للطباعة و النشر 1406هـ-1986م قسنطينة ،الجزائر ،ص63.

1- ينظر: أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، ص 362، أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب بنت قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 105.

2- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 232

3- تيهرت عاصمة الدولة الرستمية ،التي اسسها عبد رحمان ابن رستم بالمغرب الاوسط في منتصف القرن 2هـ-761م تقع اليوم غرب مدينة تيارت حوالي 9كلم ،ينظر احمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي،كتاب البلدان ،دار احياء التراث العربي،ص109 ، توفيق المدني ،كتاب الجزائر، ص 192.

بعدما قتل واليها، أما يحيا بن غانية ولى راجعا بجيشه إلى إفريقية محـــملا بالغنائم، لكن أبا محمد بن عبد الواحد بن حفص صاحب إفريقية تصدى له سنة 606هـــ/ 1209م، وألحق به وبأتباعه من الميارقة شر هزيمة بل استولا على جميع محلاتهم" [1] .

ففرّ يحيا بن غانية إلى الصحراء على إثر هذه المعركة، ولم يعاود كرة الهجوم على إفريقية، إلا بعد وفاة صاحبها أبو محمد بن حفص أبي الهنتاتي سنة 618هـــ/ 1221م[2]، تولى من بعده أبو العلا إدريس بن يونس بن عبد المؤمن، هذا الأخير الذي واجه من جديد حملات يحيا بن غانية، الذي هزم مرة أخرى سنة 621هـــ/1224م، وقتل الكثير من جنده، وغنم الموحدون أرزاقهم وأموالهم، كما لم يستسلم يحيا بن غانية، رغم خسارته، ففي سنة 623هـــ/1226م، تحرك نحو ضواحي قسنطينة ثم بجاية، وبعدها توجه إلى متيجة، فعاث فيها الخراب والدمار ثم زحف إلى مليانة، وبعدها إلى الجزائر، وبهذا تمكن مرة أخرى من بسط نفوذه، فبلغ هذا الأمر عبد الله بن أبي محمد بن أبي حفص الهنتاني[3]، فنهض في أواسط سنة 624هـــ/1227م، لملاقاة بني غانية، وأتباعهم من هوارة[4]، فسار حتى دخل بجاية التي أصلح شؤونها، وبعد الانتهاء منها، واصل سيره إلى مليانة ومتيجة،

1- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، قسم الموحدين، ص 254.

2-ينظر: ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص 105، ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمن بدويي، ط1، 1969، ط2، 1981، ط3، 1987، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 302.

3- أصبح عبد الله بن أبي محمد بن أبي حفص والذي هو أحد أبناء أبو محمد بن حفص الهنتاتي، والي على تونس، ينظر: ابن قنفد القسنطيني، نفس المصدر، ص 105.

4- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 233، وقبيلة هوارة، بطن من بطون برانس ينتسبون إلى ولد هوار بن أوريغ بن برنس، العبر، ج6، ص 163.

وكل المدن التي غزاها بنو غانية، فأمنها ثم رجع إلى تونس في شهر رمضان 624هـ/1227م[1].

وبعد انهزام يحيا ابن غانية على يد عبد الله بن حفص، نهض من جديد، وزحف نحو إفريقية، فتصدى له هذه المرة أبو زكرياء أخو عبد الله [2]وتمكن من استئصال حركتهم وإعدام وجودهم نهائيا وتشريد قائدهم يحيا بن غانية الذي هلك سنة 631هـ-1234م وبذلك " انقرض أمر الملثمين من مسوفة ولمتونة ومن جميع بلاد افريقية والمغرب والأندلس " [3]، هذه الحركة التي تركت في بعض المناطق الخراب و الدمار حقبة من الزمن، أنهكت البلاد والعباد.

أ- استقلال أبي زكريا الحفصي عن الدولة الموحدية:

بعد مقتل الخليفة الموحدي " العادل " بمراكش سنة 624هـ[4] ، وبويع من بعده أخوه إدريس الملقب بالمأمون، لكن مشيخة الموحدين نكثوا بيعته وبايعوا يحيا بن محمد الناصر ابن العادل[5]، وأثار هذا الاختلاف اضطراب في الحكم، لوجود طرفان يحكمان في مقام واحد، لينتهي النزاع بسيطرة المأمون على زمام الأمور ومن بين من رفض مبايعته عبد الله بن حفص الهنتاتي ولي تونس فقام المأمون

1- عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والاتصال والمؤسسة الوطنية للكتاب، 1980م، ص 310.

2- أبو زكريا يحيا بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص، عمر الهنتاتي، ولد بمراكش سنة 599هـ، ينظر ابن ابي دينار ،المؤنس ،ص 159.

3- عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ،ج6،ص 233.

4- ابن قنفد القسنطيني ،الفارسية، ص 107.

5- علي بن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 248.

بعزله عن الولاية وولى أخاه أبا زكرياء ،الذي كان وليا على قابس [1] وابتدءا من سنة 625هـ-1228م أصبح واليا على تونس.

لقد تمادى الخليفة المأمون على العوائد التي ألفها الموحدين ،فمثلا أنكر مذهب ابن تومرت كما وضع العقائد ونداء الصلوات بلسان بربري [2]،ولم ينته عند هذا الحد بل قتل بعض الموحدين بمراكش ،وخصوصا من هنتاتة وتنملل ،فلم يستطع أبو زكريا أن يتملك نفسه فسارع بالإقلاع عن ولائه للمأمون سنة 626هـ-1229م وحول دعوته إلى يحيا بن محمد الناصر ابن العادل كما حذف اسم المأمون من الخطبة وخطب في الجمعة باسم المهدي و الخلفاء الراشدين بالإضافة إلى تلقبه بالأمير ، فكان أول درجة الاستبداد و التمهيد للانفصال [3] أما ثاني درجة هو عندما أمر أن تكون الخطبة باسمه ،وبعد التفاف الرعية حوله عقد لنفسه البيعة العامة سنة 634هـ-1237م ، وبهذا أعلن رسميا انفصاله عن الخلافة المؤمنية [4].

ب- الأمير الحفصي أبي زكرياء يضم بجاية لملكه:

نهض أبو زكرياء بن حفص بعد استقلاله عن الخلافة الموحدية ،إلى باقي المدن الإفريقية من أجل ضمها إلى ملكه ،وفي سنة 626هـ[5] وصل إلى قسنطينة التي نزل بساحتها و حاصرها أياما حتى تمكن منها ،وألقى القبض على

1- قابس: مدينة بافريقيا تقع بين طربلس و سفاقس تم المهدية بها قبائل من البـربر،لوتة ولمانة ونفوسة ينظر: ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج4, ص 5 .

2- عبد الرحمن بن خلدون, العبر ج6, ص 335.

3- ابن قنفد القسنطيني, نفس المصدر السابق, ص 108

4- الزركشي, تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية, ص 24.

5- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6،ص 336، ابن قنفذ ،الفارسية ،ص 108،أما الزركشي تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،ص 25،يذكر تاريخ آخر 628هـ.

واليها ابن السيد أبي عبد الله الخرصاني بن يوسف العشري ،وولى عليها ابن النعمان وبعد انتهائه من قسنطينة ، توجه إلى بجاية التي كان بها أبو عمران بن أبي عبد الله الخرصاني [1] أخو والي قسنطينة السابق وتم لأبي زكرياء فتح بجاية موليا عليها ابن عمه علي أو عمار بن موسى مؤقتا أما مصير الواليين السابقين فلقد صيرا معتقلين في البحر إلى المهدية ،وبعث بأهلهما وولدهما إلى الأندلس مع ابن أوماز الذي أنزلهم باشبيلية [2].

وبهذا انقطع وجود بني عبد المؤمن بافريقية ،بعدما اعتقل أبو زكرياء آخر ولاتها وتمكن من بسط سلطانه على البلاد ،فأسس بذلك (الدولة الحفصية) ،هذه الدولة التي امتدت شرقا من الجزائر العاصمة غربا إلى عقبة التي تفصل طرابلس عن برقة ، كان يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب بلاد الجريد [3] .

نزل أبو زكرياء ابنه يحي على بجاية و أعمالها ،وجعل معه جملة من المعاونين له في تسيير شؤونها ،وقد " استوزر له يحيا بن صالح بن إبراهيم الهنتاتي ،وجعل شواره لعبد الله ابن أبي تهدى ،وجبايته لعبد الحق بن ياسين وكلهم من هنتاتة" [4]ولقد تميز أبو يحيا ،بحبه للعدل وغزارة علمه وحسن الكفاءة السياسية هذا ما أهله أن يسير شؤون بجاية وأعمالها على أحسن وجه ،خاصة وانه يحيط به أهل مشورة وعلم وتقوى.

1- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 336،وما وجدناه عند ابن قنفد اسمين مختلفين عبد الله بن عبد المنصور ،وأبا عمران بن أبي عبد الله بن يعقوب المنصور ،ينظر: الفارسية ،ص 108.

2- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 336.

3- الفرد بل ،الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ،ص 302.

4- عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 337.

كما انتشرت شهرة بجاية أكثر في عهده وانتعشت تجارتها وتوسعت علاقاتها مع مختلف الدول المشرقية و الغربية ،واستمر ازدهارها إلى غاية وفاة صاحبها يحيا بن زكريا الحفصي سنة 646هـ -1249م ،بعدما خطب له والده سنة 638هـ-1241م على جميع منابر افريقية بولاية العهد .فقد حزن عليه والده حزنا كبيرا وبعد سنة من وفاة ابنه، توفي الأمير أبو زكريا ببونة " ثم نقل شلوه بعد ذلك إلى قسنطينة ست و ستين"[1].

جـ- وضع بجاية بعد وفاة أبي زكريا:

اعتلى عرش الدولة من بعده ابنه أبي عبد الله محمد الملقب بالمستنصر بالله [2] ويعتبر أول من لقب نفسه من أمراء الحفصيين " بالخليفة" ،وأمير المؤمنين كما نجح في جعل نفسه وريثا للخلافة الإسلامية العباسية بعد حصوله على وثيقة اصطلح عليها أشراف مكة [3] ، وهذا بعد سقوط العاصمة الإسلامية بغداد على يد التتار[4].

وفي سنة 650هـ-1253م تحرك الأمير المستنصر بالله إلى بجاية التي أدهشته معالمها وأثارها بالإضافة إلى ازدهارها في الميدان التجاري ،فلم تكن خلافته اقل ازدهارا من عصر أبيه و أخيه رغم العراقيل التي صادفته. فقد أمر

1- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج 6،ص 352 :ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب، قسم الموحدين،ص ص 391،392.

2- هو ابن زكريا بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن حفص عمر ،بويع ليلة وفاة والده ، تولى الحكم وعمره 27 سنة ،أمه أم الولد ،اسمها عطف التي أمرت ببناء جامع التوفيق و المدرسة التوفيقية ،ينظر :ابن أبي دينار، المؤنس، ص 157.

3 مكة مدينة مقدسة بها بيت الله الحرام ، تقع بالمملكة العربية السعودية ،لتعرف أكثر ينظر :ياقوت - - الحموي،ج4،ص307 .

4- التتار: ينتسبون إلى المغول بآسيا الصغرى ،ينظر :احمد مختار العبادي ،في التاريخ الأيوبي والمملوكي،مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،بدون تاريخ ،ص 137

المستنصر بالله سنة 659هـ-1262م ،أخاه عمر بإخضاع مليانة ولما قام بذلك عقد له على ولاية بجاية لكنه رفض ورغب في البقاء بتونس.فعين الخليفة مكانه أبو الهلال عياد بن سعيد الهنتاتي ،الذي بقي على ولاية بجاية إلى غاية وفاته سنة 673هـ-1276 م، ثم خلفه ابنه محمد بن هلال لكنه لم تطل ولايته طويلا على بجاية ،لأن والي عهد خليفة المستنصر بالله يحيا الملقب (بالواثق) عزله وأبعده عن بجاية.

توفي الخليفة الحفصي المستنصر بالله سنة 675هـ /1277م ،مخلفا وراءه حضارة مزدهرة وعصرا ذهبيا لبجاية وغيرها من مدن الدولة الحفصية تولى من بعده ابنه يحيا (الواثق) [1] ،هذا الأخير الذي استوزر الأندلسيين بدلا من الهنتاتين فأول وزير أندلسي استوزر شؤون الدولة الحفصية هو يحي بن عبد الملك الغافقي المكنى بأبي الحسن الأندلسي،[2] لقد تمكن الغافقي من كسب ثقة الواثق وانتهاز فرصة غفلته أيضا، حيث جعل أقاربه في المناصب الحساسة فولى أخاه إدريس بن عبد الملك الغافقي الأندلسي على أشغال بجاية بعد موافقة الواثق عزل محمد بن هلال الهنتاتي عن ولاية بجاية.

شهد سكان بجاية حياة فوضوية بعد ولاية إدريس بن عبد الملك الغافقي الذي خرب كل منجزات من سبقه من الولاة ، كما فرض جبايات جديدة ،هذا الوضع جلب إليه عداوة سكان بجاية كالتجار والحرفيين والعلماء و العمال الذين تضايقوا من وجوده فكانت نهايته القتل سنة 677هـ- 1279م ورمي برأسه إلى

1- هو ابن المستنصر بن أبي زكريا يحيا بن عبد الواحد بن أبي بكر بن عمر ،بويع صبيحة يوم توفي فيه والده ينظر :ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص 160.

2- هو من أعمال مرسية الأندلسية ،لقد وفد إلى تونس مع جالية من شرق الأندلس ،سبب الفوضى والاضطراب الذي عم شرق الأندلس.

الغوغاء [1]. ولم يكتف وجهاء بجاية وسكانها من التخلص منه بل بعثوا إلى ابن إسحاق إبراهيم عم الخليفة (الواثق) يحرضونه على العودة إلى الملك لان استبداد الغافقي وأقاربه وصل إلى حد الذروة وفعلا، نهض بن إسحاق إبراهيم بعدما جاءته بيعة أهل بجاية وعلى رأسهم محمد بن هلال صاحب بجاية السابق المخلوع [2] وعند وصول بن إسحاق إبراهيم إلى بجاية، أول عمل قام به هو إعادة محمد بن هلال واليا على بجاية ،بعد أن عزل احمد بن المغارة الأندلسي [3] أحد أقرباء الغافقي. ولما تم لابن إسحاق إبراهيم ملك بجاية توجه إلى قسنطينة التي استعصت عليه في بادئ الأمر،لكن الواثق عندما تنبأ أن ملكه في تصدع ولم يبق أمامه إلا خلع نفسه لعمه [4]، فتمكن ابن إسحاق إبراهيم من تحقيق رغبته في أن يصبح ملك على الدولة الحفصية ،" فخطب لنفسه الملك وتلقب بالمجاهد وترك زي الحفصيين وتزين بزي زناتة" [5]. وعليه دانت له كل افريقية ولقد ولى ابنه أبو فارس عبد العزيز على ولاية بجاية سنة 679هـ-1281م ،هذا الأخير كانت له عدة تدخلات إصلاحية كقتله لصاحب قسنطينة أبو بكر بن الوزير الذي أثار الفساد ، بل أكثر من هذا ،فقد إرتد عن دينه ، فعقد العزم أبو فارس القضاء عليه وقطع رأسه وأخذه إلى الحضرة (تونس) ورجع إلى بجاية تاركا بقسنطينة الشيخ آبا محمد عبد الله بن بوفيان الهرغلي [6].

1- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص381،ابن قنفذ ،الفارسية ،ص 136.

2- ينظر : عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 383.

3- أبو العباس احمد بن مغارة الأندلسي ،كان قاضيا ،تولى شؤون بجاية بعد مقتل إدريس ينظر :ابن قنفذ : نفس المصدر ،ص 136.

4- ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ،ص 160.

5- أغا بن عودة المزاري ،طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19،تح: يحيا بوعزيز ،ج1،ط1، بيروت ،لبنان ،دار الغرب الإسلامي ،1990،ص 157.

6- ابن قنفذ ،الفارسية ،ص 140.

وفي سنة 681هـ-1283م ، ظهر أحمد مرزوق بن أبي عمار المسيلي [1]، الملقب بالدعي رغم أنه الفضل بن الواثق بن المستنصر بالله وانه كان مسجونا واستطاع أن ينفلت من السجن [2]، فصدقه نصير مولى الواثق الذي رأى فيه شبها من الفضل ، ومن ذلك الحين ،انتشر خبر الدّاعي عند عرب طرابلس الذين ساعدوه على بسط نفوذه ،الذي احتوى على غالب البلاد [3]، فأحس ابن إسحاق إبراهيم الحفصي بالخطر يهدد ملكه، فنهض لمحاربة الداعي أم الدكي ،فهذا الأخير استطاع أن يلحق به و بابنه زكريا الهزائم التي اضطرتهما إلى الانسحاب وتوجه إلى بجاية التي كان بها أبو فارس.

وعند وصول ابن إسحاق إبراهيم بجاية خلع نفسه من الحكم وولى ابنه أبو فارس مقامه والذي لقب نفسه بالمعتمد[4] . خرج " المعتمد" لمواجهة الداعي، تاركا والده وأخيه زكريا ببجاية، والتقى الجمعان جيش أبو فارس " المعتمد " وجيش الداعي، بوطأة قلعة سينان سنة 682هـ-1284م [5]و ودارت بينهما مواجهات حامية انتهت بالخيانة التي تلقاها أبو فراس من أنصاره الذين إلتفوا حول الدعي، بالإضافة إلى قطع رأسه و الفتك بباقي إخوته عبد الواحد و عمر و خالد و محمد ابن عبد الواحد في نفس السنة.

1- ولد بمسيلة وتربى ببجاية ،كان جامعا لحرفة الخياطة و الصناعة ،ولقد خالط السحرة الذين نجموا له ،انه سيكون له شان عظيم ،ينظر :ابن أبي دينار ،المؤنس ،ص 161، عبد الرحمن بن خلدون، العبر ،ج6،ص 388،الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،ص 46.

2- ينظر: الزركشي ،نفس المصدر ،ص 45،ابن قنفذ ،المصدر نفسه ،ص 141.

3- ينظر: محمد بن محمد الأندلسي الوزير سراج ،الحلل السندسية في أخبار التونسية ،تع : محمد الحبيب هيلا ،ج1،القسم 04،1970، ص 1036 ،الزركشي ،نفس المصدر،ص 48.

4- يذكر عبد الرحمن بن خلدون ،أن أبا فارس ،اجبر والده بن إسحاق إبراهيم على خلع نفسه ،ينظر العبر ج6،ص 390.

5- الزركشي ،تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية ،ص 48.

وبهذا انتهى حكم أبي فارس " المعتمد " ببجاية وأعمالها، والذي كانت مدة حكمه ثلاثة وخمسون شهرا و خمسة عشر يوما[1]، وتوفي ولم ينل من الخلافة إلا اللقب.

عمت بجاية بعد هذه الواقعة فوضى واضطراب " فاجتمع الناس بالجامع، حيث كلمهم قاضيهم أبو محمد عبد المنعم بن العتيق الذي حاول تهدئة الوضع، لكنهم لم يصغوا إليه بل قتلوه بالمقصورة "[2]، فقد ثار هذا الأمر فزع أبي إسحاق وابنه زكريا ففرّ من بجاية إلى تلمسان التي كان بها صهرهما السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن الزياني[3]، لكن ابن إسحاق إبراهيم لم يتمكن من تحقيق غايته لأن بعض أهل بجاية و الأجناد أدركوه بجبل بن غبرين بن زواوة[4] وقبضوا عليه وبقي معتقلا ببجاية حتى أمر الدعي محمد بن عيسى بن داود لقتله في ربيع الأول سنة 682هـ، أما ابنه زكريا فلقد تم له الفرار إلى تلمسان.

امتلك الدعي البلاد غير أنه كان رجلا خاملا سفاكا للدماء، ظالما خسيسا بخيلا فاجرا كذابا مخالفا للوعد، لم يكن يملك من خصال أبناء الملوك شيئا، وذلك كونه سعى وراء الحصول على الملك منطلقا من تكهن المنجمين، وبسبب ظلمه لم يملك عرش افريقية طويلا فلقد ظهر من هو أحق منه بالملك و هو الأمير أبو حفص عمر بن المولى الأمير بن زكريا بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص[5] الذي استطاع أن يحقق النصر و استرجع ملك أبائه و تم له التخلص من

1- ينظر: ابن قنفذ، الفارسية، ص 143، أما الزركشي، التاريخ الدولتين، ص 48.
2- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 391, ابن قنفذ، الفارسية، ص 143.
3- الزركشي, نفس المصدر السابق, ص 49.
4- ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 391, ابن قنفذ، الفارسية، ص 143.
5- وفي واقعة سنان التي شارك فيها أبو حفص تمكن من الفرار إلى قلعة سنان معقل هوارة, ينظر ابن أبي دينار, المؤنس, ص 162, و عبد الرحمن بن خلدون, العبر, ج6, ص 391.

الدعي سنة 683هـ - 1285م و بهذا أصبح ملك افريقية و لقب نفسه بالمستنصر بالله لكنه لم يتمكن من البقاء طويلا في كل أعمال افريقية لأن أبو زكرياء بن إسحاق إبراهيم تقاسم معه الملك[1]، فلقد استولى أبو زكرياء على الجهة الغربية للدولة الحفصية, فأصبحت بذلك مقسمة إلى شطرين الشرق عاصمته تونس أميرها أبو حفص و الغرب عاصمته بجاية و قسنطينة أميرها أبو زكرياء بن إسحاق إبراهيم. هذا الأخير كان يقسم السنة بين بجاية و قسنطينة [2] و بعدما استقر ملكه رغب في التوسع و ضم باقي المناطق الحفصية، فتوجه إلى تونس للإستلاء على ملك عمه أبي حفص فنهض سنة 685 هـ- 1287م [3].

وبانقضاء القرن 7 هـ -13 م و بداية القرن 8 هـ -14 م ، عرفت بجاية عدة محاولات غزو من طرف الزيانيين لكنها كلها باءت بالفشل حسب نص التنسي : << لقد فشلت جهود بن زيان كلها لضم المدينة لممتلكاته >> [4].

كما تعرضت بجاية لسيطرة النرنيين ، فبعد إخضاعهم الطويل إليها تمكن أمراء الحفصيين من جمع كل أعمال الدولة الحفصية . وعليه شهدت بجاية حلقات مختلفة من تاريخها السياسي إبان الفترة الموحدية والحفصية نتجت عنها حياة سياسية واجتماعية واقتصادية متنوعة.

1- لجأ أبو زكريا بن إسحاق إبراهيم بعد فراره من بجاية إلى صهره بتلمسان, الملك الزياني عثمان بن يغمراسن, ينظر: محمد بن عبيد الله التنسي، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، حققه: محمد بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1405هـ/1985م.

2- عبد الرحمن بن خلدون، العبر، ج6، ص 394.

3- ابن قنفذ الفارسية, ص 149.

4-التنسي المصدر السابق ص 284 .

الفصل الثاني:

- بجاية دراسة حضارية ما بين القرنين (6هـ 7هـ/ 12م- 13م) -

1- الحياة السياسية.

2- نظم الحكم التي عرفتها بجاية .

3- مهام الولاة.

4- الحياة الاقتصادية ببجاية.

5- التركيبة السكانية و الحياة الاجتماعية.

6- العمارة في بجاية.

1- الحياة السياسية:

شهدت بجاية حياة سياسية كانت أغلبها مضطربة تخللتها نزاعات و فوضى أحيانا ترتبت عن سوء تسيير حكامها وولاتها من جهة و تدخل بعض العناصر الأجنبية في الحكم من جهة أخرى.

فكما نعلم أن بناء بجاية جاء نتيجة نزاع بين آل حماد و أبناء عمومتهم الزيريين، هؤلاء الذين اعتمدوا على عرب بني هلال لفض النزاع القائم بينهما، تمخض عنه تخريب القلعة العاصمة الأولى لبني حماد و انهزام الناصر بن علناس بمعركة سبّيبة قرب القيروان ، فكانت بجاية العاصمة النهائية.

وبعدما آلت بجاية ضمن ولايات الدولة الموحدية، تولى عليها مجموعة من الولاة كانوا يتغيرون حسب تغير أمراء وخلافاء الدولة المؤمنية، وسار الحفصيون أيضا على هذا الدرب ، فأمراء الدولة كانوا يعينون ولاة من الأسرة الهنتاتية، وفي عهد الأمير الحفصي الأول أبو زكرياء، ولى ابنه على بجاية، وواصل المستنصر بالله تولية ولاته من الأسرة ، لكن بعد إعتلاء الواثق عرش الدولة الحفصية بدأ يدمج عناصر ليست من الأسرة الهنتانية إذ حكم في عهده ولاة من الأندلس،على بعض من مناطق افريقية وبجاية إحداها، فهؤلاء الولاة إنشغلوا بشؤونهم و أهملوا شؤون الرعية فشهدت بجاية أسوء مرحلة، كما انتشرت بها الفوضى حسبما أشرنا إليه في الفصل الأول.

كانت هذه حصيلة الحياة السياسية الداخلية لبجاية، أما الحياة السياسية الخارجية فكانت تتسم أحيانا بالسلم و أحيانا أخرى بالحروب و المعارك، فكثيرا ما تعرضت بجاية إلى غارات بني هلال و تهديدات الزيرية و محاصرة المرابطين لحدودها والزحف الميورقي إليها، و تعرضها للقرصنة من طرف بيزا و جنوة [1]، ناهيك عن تعرضها فيما بعد للمحاصرة الزيانية و الغزو المريني، لكن هذا كله لم يمنع بجاية من

[1]- رشيد بوروبية، الدولة الحمادية و تاريخها و حضارتها, ص 120

تطوير علاقاتها الخارجية للأحسن، فلقد أبرمت عدة اتفاقيات و معاهدات اقتصادية وغيرها سنذكرها في العناوين اللاحقة.

2- نظم الحكم التي عرفتها بجاية:

كان نظام الحكم السائد بالدولة الحمادية خلال القرن (5هـ - 11م) وراثي ينتقل بين أبناء حماد بن بلكين، لكن و بعد تغير الوضع السياسي لبجاية في العهد الموحدي (6هـ- 12م) و بعدما أضحت ضمن أقسام ولاية الدولة، عرفت خلاله نظام الولاة. فالخليفة عبد المؤمن بن علي عين أبناءه على قواعد البلاد و كان يرسل معهم كبار أشياخ الموحدين[1] و الفقهاء و القضاة و المستشارين وهؤلاء كانوا يساعدون الأمير في ولايته [2] ولم تكن ولاية قسم من أقسام الدولة منحصرة على سادة وأبناء الخليفة، بل شمل أيضا المخلصين من أشياخ الموحدين للأسرة الحاكمة، لكن هؤلاء كثيرا ما كانت أمور ولاياتهم تنفلت منهم، فمثلا بجاية تعدد عليها أكثر من وال من أشياخ الموحدين الذين فشلوا في القضاء على غزو بني غانية لها، أو إهمالهم لشؤون رعيتهم، فمثلا أبو الحسن علي بن عمر ابن أمير المؤمنين عبد المؤمن، ولى بجاية مدة ثم عزل عنها لإهماله و إغفاله و انهماكه في ملاذاته[3]. و عليه كان الخليفة يضّطر إلى تغيير الولاة حسب قدراتهم السياسية.

---

[1]- أشياخ الموحدين المصامدة، هم أصحاب ابن تومرت، كان الخليفة عبد المؤمن بن علي يعينهم رفقة أبناءه في أمور ولايات الدولة، من أجل اشتغالهم في مهام الإدارة و أبعادهم عن كل تمرد لأنهم يعتبرون الورثة الشرعيون لابن تومرت بحكم انتسابهم لنفس القبيلة.

[2]- عبد الواحد المراكشي، المعجب ، ص206- 207- 224.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، ج3 ، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 1419ه،-1998م،ص370.

كما شهدت الدولة المؤمنية استبداد أشياخ الموحدين [1]، ففي عهد الإنحلال وانحطاط الدولة عرفت تمرد بعض من ولاتها، فمثلا الخليفة الموحدي الناصر، عندما عين عبد الواحد بن حفص الهنتاتي على أمور إفريقية، استبد أبناؤه من بعده بحكم الولاية، بل تعدوا إلى الانفصال و الاستقلال عن الحكم المركزي.

و عليه نستنتج أنه عندما كانت شؤون الدولة الموحدية منحصرة لدى الأسرة الحاكمة شهدت أوج الازدهار، لأن الناس كانوا ينظرون لولاية أبناء عبد المؤمن بن علي باحترام و يعتبرونها رمز وطاعة، لكن بعدما شاركت عناصر أخرى أبناء الخليفة حكم الولايات، بدأ الطابع الأخلاقي يضمحل و يندثر مما أدى إلى نشوب فوضى و تمرد سببها أطماع الولاة و انشغالهم بأمورهم الخاصة وإهمالهم شؤون الرعية، فشهدت بذلك معظم ولايات الدولة اضطرابا و توترا و انشقاقا، حافظت فقط العاصمة على كيانها السياسي لمدة طويلة، لكن بعد انهزام القوى الموحدية في معركة العقاب بالأندلس، بدأ كيانها يتصدع وهذا ما شجع أسرة بني مرين من غزو مراكش عاصمة الخلافة وانفصال بني زيان عنها و استقلالهم بولاية المغرب الأوسط، كما استقل الهنتاتيون أيضا بولاية إفريقية و أسسوا الدولة الحفصية بها.

لقد حافظ الحفصيون على النظام الإداري الموحدي، بموجب أنهم يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين، فقلدوا نظام الموحدين فبدورهم استعملوا نظام المشايخ و كان أهم المشايخ يساهمون في مجلس الشورى، ففي عهد أبي زكريا وجد ثلاثة وزراء وزير الجند، وزير المال المسؤول عن ديوان المحاسبة و الضرائب، و الوزير المكلف بالكتابات السياسية و رجال الأمن[2] ، بالإضافة إلى أن الحفصيين اعتمدوا

---

[1]-عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، الطبعة الأولى، لبنان،دار الغرب الإسلامي،1411هـ-1991 م،ص187.

[2]- عبد الله شريط، محمد الميلي, الجزائر في مرآة التاريخ, الطبعة الأولى، قسنطينة، طبع ونشر مكتبة البعث 1965م، ص 96.

في تسيير شؤون دولتهم على ولاة من الأسرة الهنتاتية، لاسيما في المراحل الأولى للدولة، فبعد استقلال الأمير أبي زكرياء بشؤون الدولة الحفصية، عين ابنه يحي واليا على بجاية وحول له معظم الصلاحيات في سائر أعمالها، فـشهدت بجاية حياة مزدهرة استمرت في عهد أخيه المستنصر بالله، لكن بعد وفاته عرفت بجاية اللامركزية في الحكم وانتشار التمرد والفوضى بسبب وجود عناصر أجنبية كالأندلسيين، بالإضافة إلى حكام مرتزقة كالداعي الذي أخلط الحابل بالنابل، كما عاشت بجاية أيضا تمزقا ترتب عنه إنفصالها في مطلع القرن (8هـ-14م) عن الدولة و تأسيس إمارة غربية عاصمتها بجاية، استمر هذا الوضع إلى غاية توحيد الدولة من جديد، كما حاول الحفصيون أن يستندوا إلى الأسس الشرعية اللازمة في باب الخلافة كالأصل العربي و النسب النبوي إلى جانب قرابتهم للموحدين، [1] و بهذا النسب و جدوا أنفسهم لهم الشرعية الكافية لأن يرثوا الخلافة الموحدية.

3- مهام الولاة:

لم تكن وظيفة الوالي تنحصر في مهمة واحدة، بل له عدة مهام أخرى منها حفظ الأمن الداخلي بالقضاء على التمردات كما يمد المساعدة المالية و حتى العسكرية للولايات المجاورة في حالة تعرضها للغزو الخارجي، فكثيرا ما كان ولاة بجاية يمدّون يد المساعدة لأهالي قسنطينة، بالإضافة إلى إشرافه على بناء الحصون و القلاع وغيرها كما له الحق في إبرام عدة اتفاقيات و عقود تجارية، و قد يقوم أيضا بتعمير الولاية من حيث البنية التحتية اللازمة لها، و كان الولاة يخضعون للمراقبة والمحاسبة الدقيقة من قبل السلاطين[2] إذ يجب على كل وال ان يضع تقريرا شاملا حول أحداث ولايته ويبلغ

---

[1]- علي محمد محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 267.

[2]- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي ، تنظيماتهم و نظمهم، ص 185.

به الحضرة(العاصمة)، زيادة على هذا لابد من أن يستشير في كل كبيرة وصغيرة السلطان، ومن يخالف الأوامر ولا يراجع السلطان، إما ينقل أو يعزل.

- أسطول بجايةِ:

اهتم البجائيون بصناعة السفن منذ العهد الحمادي، قد أنشأ الأمير الحمادي الناصر بن علناس دارا لصناعة الأساطيل الحربية والتجارية، وكان اهتمامه أكثر بالسفن التجارية التي جهزها وخصها بصناعة عالية الجودة، إذ زودها بمراكب صغيرة ما يدل على ضخامة السفن ذات الجوانب العالية المجهزة بقلوع فخمة، كما احتوت على الطرائد والشينيات[1].

عرفت بجاية عن طريق التبادلات التجارية الخارجية خاصة، عدة محاصيل ومنتوجات جديدة التي كانت تنقلها إليها أساطيلها من مختلف بقاع العالم ولاسيما دول حوض البحر الأبيض المتوسط، كما يرجع سبب وجود عدد كبير من السفن ببجاية هو توفرها وغناها بالمادة الأولية لهذه الصناعة، فيذكر الإدريسي أن :« بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران وبها معدن الحديد والطيب...»[2]، نلمس من خلال هذا النص أن بجاية كانت تزّخر بمواد طبيعية أخرى ساهمت في إثراء نشاطها الاقتصادي والتجاري، فمثلا الزفت كان يستخدم في طلاء السفن [3] فإذا احتواءها على كثرة الغابات المحيطة بها، وفر لها المادة الأولية التي دفعتها إلى إنشاء أضخم أسطول و أقواه خلال القرنين (6هـ- 12م) و (7هـ-13م)

---

[1]- صالح أبو دياك، مدينة بجاية و دورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري ، أبحاث اليرموك، ص ص 219- 220، و الشينيات مفردها شيني ، و هي سفينة حربية تعد من أهم قطع الأسطول الإسلامي تتكون من 140 مجذافا و تقل عادة 1000 من المحاربين.

[2]- الإدريسي، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، م 1، ص 260.

[3]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 220.

الذي ساهم بشكل كبير في صد الحملات الفرنجية [1] و القضاء على القرصنة المسيحية التي كانت تتعاطاها بعض الدول الأوربية حسب ما جاء عند الغبريني: " أن بجاية كانت بلدة غزاة و كان قطاعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية و غيرها و يسوقون السبي الكثير منها..."[2].

كما لعب أسطول بجاية دورا فعالا في الفتوحات، كفتح جزيرة جربة[3]، و مدّ يد المساعدة من خـــلال إسعافه لمسلّمي الأندلس مثلا، و الذين كانوا في صراع مع الإسبان [4].

4- الحياة الاقتصادية ببجاية:

و فيما يخص المجال الاقتصادي لبجاية، فإن ما ذكر عنه قليل لاسيما في العهدين الموحدي و الحفصي (6-7هـــ/12-13م)، استنبطنا إلا ما جاء في الكتب الجغرافية القديمة للرحالة كالإدريسي و ياقوت الحموي و صاحب الاستبصار و ما وجدناه أن اقتصاد بجاية كان يقوم على نشاطات متنوعة، كالصناعة والملاحة والصيد والزراعة لكن حصة الأسد من اهتمام البجائيين حضيى بها النشاط الفلاحي خلال العهود الإسلامية في العصر الوسيط.

-أ- الفلاحة

تنوعت المحاصيل الفلاحية ببجاية و هذا راجع إلى الإهتمام الكبير لسكانها بهذا النشاط الحيوي، الذي وفّر له كل من الموحدين و الحفصيين كل الطاقات لإنعاشه، فلقد إستفاد سكان بجاية خلال هذين العهدين بنضام الإقطاع،[5] مقابل خدمة قدمت للدولة،

---

[1]-حسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج2, ص 50.

[2]- أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 76.

[3]- جربة: جزية بالساحل التونسي، مقربة من قابس، ينظر: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 78.

[4]- صالح أبو دياك، نفس المقال, ص220.

[5]- إقطاع هبة و منة، يقررها الخليفة, مقابل خدمة للدولة, ينظر: عز الدين أحمد موسى, النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري, ط1, دار الشروق, 1403هـــ/ 1983م، ص 146.

فالخليفة عبد المؤمن بن علي أعطى لفتية بجاية أرضا واسعة لاحتراتهم[1]. و بذلك توسع الإهتمام أكثر بهذا الميدان وما نتجت عنه ثروة الفلاحية زخرت بها بجاية طيلة عهودها الإسلامية، عرفت بجاية في ذلك الوقت بزراعة الزيتون أكثر من غيرها كما اشتهرت بانتاج التين و الحنطة و الشعير و الفواكه حسب ما ذكره لنا الإدريسي حين يقول: " و لها بواد و مزارع و الحنطة و الشعير، بها موجودان كثيران و التين و سائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد"[2]، بسبب إحاطتها بعدد لا يحصى من الحدائق العامرة بالأشجار[3]، كما كان يجلب إليها من جيجل العنب والتمور و السفرجل من تنس [4] و تاهرت، و اللوز و التفاح من نقاوس.

- النباتات:

كان يجلب إلى بجاية أصناف من النباتات لكي تغطي حاجيات سكانها ، فمثلا القطن كان يصنع منه الشواشي التي كانت بجاية تنفرد بصنعه دون غيرها من المدن،أما الحرير و الكتان فصنعت منه الألبسة المفتوحة للرجال، هذا النوع من الزّي كان منتشرا في المجتمع البجائي [5]، ناهيك عن قصب السكر، الكمون، الزعفران و الحناء التي إستعملت للتزيين كصبغة الشعر أو تزين اليدين و الرجلين، بالإضافة إلى مختلف الأزهار و الرياحين و النرجس و الياسمين التي استخلصت منها مختلف العطور[6].

أما النباتات الطبية فكانت موجودة بكثرة ببجاية و لقد إنتفع بها سكانها في الصناعة الطبية، إذ يذكر الإدريسي أنواع منها المتواجد على جبل آميسون كشجر "الحفضض

---

[1]- عز الدين أحمد موسى, نفس المرجع السابق, ص146.
[2]- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، م 01، ص 260.
[3]- حسن الوزان، وصف إفريقيا- ج2- ص50.
[4]- تنس: مدينة ساحلية تقع غرب الجزائر، أسسها الكنعانيون.
[5]- البيذق الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت، ص36
[6]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 226.

السقولوفندوريون، البرباريس، القنطريون الكبير، الرزاوند، القسطون والإفسنتين أيضا و غير ذلك من الحشائش..."[1].

- الغابات:

الزائر لبجاية يحفظ في ذكرياته صورة قل ما تراها في مدن أخرى و هي تموقع بجاية بين أحضان شريط أخضر من الغابات الكثيفة، التي ما زالت منذ الأزل البعيد توفر لسكانها المادة الأولية في مختلف الصناعات، فالخشب بالإضافة إلى أنه يصنع منه السفن، كان يستعمل أيضا لصناعة الأواني و النوافذ، كما كانت أشجار الصنوبر موجودة بكثرة ببجاية و كان يستخرج منها الزفت والقطران[2].

- تربية الحيوانات:

اهتم البجائيون بتربية الماعز و البقر و الخيل كما وجد بغابات بجاية القرود والفهود[3]، أما تربية النحل فكانت منتشرة إنتشارا واسعا بسبب تواجده في الجبال والأودية المحيطة ببجاية، فلقد جلبت هذه المهنة عدة فوائد كإنتاج العسل و بالتالي توفر شمعه الذي انتشر بأسواق بجاية و لقد تعلم الأوربيون صناعة الشمع و نقلوها إلى بلادهم[4].

أما الصيد فلم يكن نشطا بقدر نشاط الفلاحة و الصناعة و هذا حسب ما لاحظناه من خلال المصادر، التي لم تذكر هذا النوع من النشاط لدى البجائيين، بينما جيجل خصوها بكتابات تتحدث عن صيدها المتنوع. بالرغم أن بجاية تملك مرسى و ساحل بحري تغنى به الشعراء، لكن لم يأتوا على ذكر نشاطها الملاحي.

1- الإدريسي، نفس المصدر السابق، م1 ص 259.
2- رشيد بورويبة, نفس المرجع السابق، ص134.
3- حسن الوزان, نفس المصدر السابق- ج2- ص 51.
4- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص 225.

ب- الصنائع:

عرفت بجاية مختلف الصناعات الغريبة و اللطيفة[1] و هذا راجع لتوفرها على المواد الأولية التي سمحت بهذا التنوع و ساهمت في تطوير اقتصادها، و من بين هذه الصناعات نذكر:

- الصناعة النسيجية:

ذكر آنفا أن بجاية كان يجلب إليها أصناف من النباتات التي كانت تستخدم في الصناعة النسيجية, كصناعة الألبسة و العمائم و الشواشي، إذ يذكر صاحب كتاب الاستبصار أنه: " كانت لملوك صنهاجة عمائم شرب مذهبة يغلون في أثمانها تساوي العمامة (500) دينار و (600) دينار و كانوا يعممونها بأتقن صنعة فتأتي تيجانا ..."[2]. كما لبس البجائيون الحرير و ملابس غريبة أخرى، حسب ما أشار إليه "البيذق" و هو يخبرنا في كتابة عما وجده الزعيم الروحي للموحدين "ابن تومرت"، سكان بجاية في زيارته إليها يلبسون ألبسة مغال فيها، فقد " نهى الناس عن الأقراق الزّرارية[3] و لباس الفتوحيات للرجال"[4] و الابتعاد عن التزين بزّي النساء.

- الصناعة الجلدية:

كانت لهذه الصناعة مراكز خاصة بها من بينها قرطبة، لكنها تلاشت في العصر الموحدي و تصدرت مكانها بجاية، التي برع سكانها في صناعة الأحذية مختلفة الأشكال[5]، كما وظفوا أنواع الجلود لمختلف الحيوانات كالبقر و الغنم و الماعز وغيرها.

1- الإدريسي، نفس المصدر السابق، م2 , ص 260.
2- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، ص، 129.
3- ينظر: صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 224.
4- البيدق ، نفس المصدر السابق، ص 36.
5- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 230.

- الصناعة الفخارية و الخزفية و الزجاجية:

منذ العهد الحمادي كان البجائيون يمارسون هذه الصناعة المهمة في حياتهم، لأنها توفر لهم بعض حاجياتهم و استمر هذا النشاط في العهدين الموحدي و الحفصي، بل زاد الإنتاج الفني، و امتزج بالفنون المشرقية و الأندلسية، فتنوعت الأدوات الزجاجية والفخارية التي إستعملها البجائيون في حياتهم اليومية، كالمزهريات التي تحفظ بها الأزهار و النباتات و أيضا الأعشاب الطبية، كما صنعوا أيضا الأواني المنزلية والأدوات اليدوية كالخراطة و النجارة و الحياكة[1]، و ما زال البجائيون محافظين على هذا النشاط الحيوي الذي يعتبرونه تراث حضاري و رصيد ثقافي.

- صناعة الشمع:

صدّرت بجاية الشمع إلى أوربا في العصور الوسطى، فكثر الطلب عليه حتى أطلق الفرنسيون على بجاية إسم "بوجي" " Bougie " أي الشمعة[2].

- صناعة الورق و الوراقة:

إن صناعة الورق تتصل بالمنسوجات لأن الورق كان يصنع في المغرب من الكتان و لقد انتشر الوراقون ببجاية.

- الصناعة المعدنية:

في النصف الأول من القرن(6هـ -12م)، عرفت البلاد الشرقية بصناعاتها المعدنية، فبجاية كغيرها من المدن الشرقية غنية بالمواد المعدنية البالغة الجودة[3] واشتهرت بصناعاتها المعدنية، فكانت تشارك تونس في صناعة الأسلحة و السكة[4].

1- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 224.
2- إسماعيل العربي، نفس المرجع السابق، ص 247.
3- الإدريسي ، نفس المصدر السابق، م1 , ص 260.
4- عز الدين أحمد موسى، نفس المرجع السابق، ص 249.

- **الصناعة الخشبية:**

أشّرنا إليها في ذكر أهمية هذه الصناعة في صناعة السفن، الأواني و النوافذ وغيرها من مستلزمات سكان بجاية.

- **الصناعة التجميلية:**

اشتّهرت بجاية بإنتاج زيت الزيتون البالغ الجودة ، الذي كان يستخلص منه أنواع من الزيوت، منها ما يستخدم في الطهي و منها ما كان يصنع منه الصابون[1].

- **التجارة:**

اعتبرت بجاية خلال القرنين (6هـ-7هـ/12-13م) من أهم المراكز التجارية بالمغرب الإسلامي، و يرجع الفضل في أهميتها التجارية إلى موقعها الاستراتيجي المتفتح على حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي ساهم في تقوية علاقتها التجارية مع الدول المجاورة لها، بالإضافة إلى أن البجائيين إستبعدوا خطر بني هلال و ذلك بتفاوضهم معهم على نصف غلة بلادهم، كما أعفى بنو هلال سكان بجاية من الضرائب على التجارة الداخلية[2].

و عليه أضحى مرسى بجاية يستقطب مختلف السفن التجارية حسب قول صاحب الاستبصار: " ... و هي مرسى عظيمة تحط فيه سفن الروم من الشام و غيرها من أقصى بلاد الروم، و سفن المسلمين من الأسكندرية بطرف بلاد مصر[3]، و بلاد اليمن[4] و الهند[5] و الصين[6] و غيرها"[7]، و يذكر الإدريسي أيضا: " و مدينة بجاية

1- صالح أبو دياك ، نفس المقال السابق، ص 224.
2- عز الدين أحمد موسى، نفس المرجع السابق، ص 265.
3- مصر: دولة بقارة إفريقيا، عاصمتها القاهرة، يحدها شرقا البحر الأحمر، وغربا ليبيا، وجنوبا السودان، وشمالا البحر الأبيض المتوسط.
4- اليمن: دولة بقارة آسيا، عاصمتها الصنعاء، كانت مقرا لمملكة سبا.
5- الهند: دولة آسيوية، يحدها شرقا الصين، وغربا باكستان، وهي عبارة عن شبه جزيرة، لأن كمية المياه تحيط بها جنوبا.
6- الصين: تقع جنوب شرق آسيا، عاصمتها بكين.
7- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار، ص 130.

في وقتنا هذا كانت مدينة المغرب الأوسط و عين بلاد بني حماد و السفن إليها متعقلة وبها القوافل منحطة و الأمتعة إليها برا و بحرا مجلوبة و البضائع بها نافقة"[1].

إذا بجاية عرفت ازدهارا في الحركة التجارية، تكتفت أكثر خلال العهد الموحدي حيث ربط الخليفة الموحدي " عبد المؤمن بن علي" المغرب الإسلامي بقوافله التجارية كما كانت العلاقات المغربية والمشرقية في عهده قوية تجاريا، برا و بحرا، ناهيك عن إبرامه عدة اتفاقيات اقتصادية مع الدول الأوربية، لكن هذا كله لم يمنع من سوء و توتر التجارة ببجاية في فترة الإحتلال الميورقي لها سنة 580 هـ- 1184م، فلقد عمل على تذبذب الحركة التجارية بها و لقد إستحوذ الميارقة على المراكز التجارية بها، لكن إسترجعها منهم الموحدون بعدما استأصلوا وجودهم بالمنطقة، كما تواصل هذا التميز التجاري في العهد الحفصي أيام حكم أبي زكرياء الحفصي و ابنيه يحيا و المستنصر بالله، حيث تمتعت بجاية في عهدهم باقتصاد زاهر، إذ كانت قوافلها التجارية دائمة الاتصال مع المدن الداخلية و الدول الخارجية.

- الطرق:

انتهجت الحركة التجارية ببجاية نوعين من الطرق: طرق برّية وطـرق بحرّية لكن الطرق البحرية كانت أكثر نشاط من الطرق البرّية، و هذا راجع لعدة عوامل سنتطرق إليها لاحقا.

أما الطرق البرّية، فحاول الموحدون خلال القرن (6هـ-12م)، أن يحيوا العلاقات التجارية الداخلية خاصة بعد الغزو الميورقي، و بعد ضبط أحوال بجاية انتعشت الحركة التجارية عن طريق البر.

---

[1]- الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص 260.

العلاقات التجارية بين بجاية و الدول المسيحية:

اتسمت العلاقات التجارية بين البجائين و المسيحيين ما بين القرنين 6- 7هـ/ (12-13م) بالضعف ، سببه الحملات الفرنجية التي استهدفت ساحل بجاية خاصة من طرف المدن الإيطالية كجنوة و بيزة و البندقية[1]، هذا العامل أدى إلى تحسين و تطوير وسائل الدفاع التي تملكها بجاية، كصناعة الأساطيل و تحصين مرساها ورغم كل هذه الإحتياطات لم يستطع البجائيون من صدّ القرصنة الفرنجية، فعمدوا لإيجاد حل آخر و هو إبرام عهود و عقود تجارية مع الدول المسيحية، لإشغالها في حركة أخرى تعود عليها و على بجاية بالفائدة. و بالفعل تحسنت العلاقات التجارية بينهما أكثر في القرن 7هـ - 13م[2]. و من بين المدن التي استفادت من هذه العلاقات جنوة، بيزا البندقية، إسبانيا و فرنسا خاصة مدينة مرسيلية.

أ- العلاقة التجارية مع جنوة:

بعدما امتنع الجنويون من الاعتداء على مراكب المسلمين و فرض عقوبة على من يستهدفها منهم[3]، استفادوا على إثرها بامتيازات و عقود تجارية، كالتي عقدها معهم الخليفة الموحدي " عبد المؤمن بن علي " تسمح للسفن الجنوية بحرية التجارة لرعاياهم برا و بحرا، كما خفضت عن تجارهم نسبة البضائع الواردة إلى بجاية بالنسبة العشر والواردة إلى غيرها بـ8% [4]، كما وصلت حصة استثمار جنوة ببجاية وحدها إلى 7/1 [5]، وتم التوقيع على اتفاق آخر سنة 533هـ- 1138م ينص على إقامة قنصلية لهم و مراكز تجارية ببجاية[6] كما هو الحال مع "بيزا".

---

[1]- البندقية: مدينة إيطالية تقع جنوبها، تطل على البحر الأبيض المتوسط.
[2]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص226.
[3]- عز الدين أحمد موسى، نفس المرجع السابق ، ص 276.
[4]- ينظر: نفسه، ص 277, محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص، 172.
[5]- عز الدين أحمد موسى، نفس المرجع السابق، ص 277.
[6]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص 227.

ب- **العلاقة التجارية مع بيزا:**

كانت بيزا أوفر حظا في تعاملها مع بجاية تجاريا من جنوة و البندقية، حيث خصت بعدة اتفاقيات تجارية كالإتفاقية الموقعة بينهما و بين الخليفة الموحدي المنصور يعقوب سنة (582- 583هـ)/(1186- 1187م) و التي تنص أن يكون للبيزيين قنصل دائم يمثلهما و يشرف على مصالحهما ببجاية، إلى جانب هذا اتفق البجائيون مع كل من البيزيين و الجنويين على حفظ أموال الغرقى من تجارهم، و إعطاء الدّيات لأهالي موتاهم[1].

جـ- **العلاقة التجارية مع البندقية:**

البندقية كان لها نصيب في التعامل التجاري مع بجاية، فكانت تصدّر اليها مختلف السلع و تستورد منها، كما كان لها وكالة تجارية بها[2].

د- **العلاقة التجارية مع إسبانيا:**

برّزت العلاقات التجارية البجائية الإسبانية أواخر القرن(7هـ- 13م) و بداية القرن(8هـ- 14م)، هذا القرن الذي شهد عدة اتفاقيات تجارية لم يشهدها القرن السابق و كان الإسبان يفضلون التعامل التجاري مع بجاية و تونس، بينما اكتفوا بالعداء مع المرّينيين[3].

و- **العلاقة التجارية مع فرنسا:**

تعامل البجائيون أكثر مع مدينة مرسيلية الفرنسية، بسبب موقعها الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط و قرب المسافة بينهما، ففي سنة (608هـ- 1211م) نالت

---

[1]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص، 226-227.

[2]- ينظر: محاضرات و مناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي, بجاية, م2, 1-12 ربيع الأول 1394هـ - 25 مارس إلى 15 أبريل 1974م - منشورات وزارة الشؤون الدينية, ص ،571- 573، صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 227.

[3]- نفسه، ص573، صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص 228.

فرنسا حق إرساء سفنها بمرسى بجاية[1]، كما استفاد الفرنسيون بتخفيض نسبة الرسوم الجمركية ما بين 5 و 8% خلال القرنين 6-8هـ/12-13م [2].

استعملت مجموعة مختلفة من القروض في التعاملات التجارية بين بجاية والدول الأخرى، فمثلا تجار جنوة و مرسيلية تعاملوا مع تجار بجاية بما يسمى بالقرض البحري [3] ، كما استخدموا التقاضي بينهما " Acrédit"، بالإضافة إلى بيع البضائع في المزاد العلني، الذي كان يقام في المراكز التجارية الواقعة على مرسى بجاية[4].

لم تكن العلاقات التجارية البجائية مقتصرة مع المدن الأوربية فقط، فحسب ما يشير إليه الإدريسي، أن سكان بجاية كانت لهم علاقات مع تجار المغرب الأقصى و تجار الصحراء و تجار المشرق[5] ، فالطرق البرّية سهلت التعاملات و التبادلات و الاتصال بينهم، كما تعدت العلاقات التجارية البجائية إلى التعامل مع بعض المناطق الآسياوية كالهند و الصين، فيذكر صاحب الإستبصار: "أن بجاية كانت تحط بها سفن من بلاد اليمن والهند والصين وغيرها"[6] ، فكان مرساها من أكبر المراسي بعد مرسى الإسكندرية.

- الصادرات و الواردات ببجاية:

عرف مرسى بجاية، حركة نشيطة في التبادلات التجارية، حيث كانت السفن مشحونة بالسلع، إما قاصدة مرساه أو مغادرة منه.

---

[1]- ينظر: محاضرات و مناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي, بجاية, م2, 1-12 ربيع الأول 1394هـ - 25 مارس إلى 15 أبريل 1974م - منشورات وزارة الشؤون الدينية, ص ،573- 574، صالح أبو دياك، نفس المقال السابق، ص 228.

[2]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق, ص 228.

[3]- القرض البحري: و هو تحمل صاحب البضاعة الخسائر و التكاليف الناجمة عن غرق أو سرقة بضاعته. ينظر: صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص228.

[4]- نفسه ، ص 229.

[5]- الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص 260.

[6]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص 130.

لقد صدّر البجائيون منتوجات و محاصيل متنوعة كالقطن، القصب، السكر، الكتان الشمع, العسل, القمح، الشعير، الخشب و المعادن أيضا كالحديد و الفضة و البرونز القطران، الزفت، الزئبق و النحاس الذي كان يستخرج من جبال كتامة[1] ، و صدرت كذلك منسوجات و فواكه جافة كالزبيب و التين " و سائر الفواكه منها ما يكفي لكثير من البلاد " [2].

أما الواردات التي كثر الطلب عليها خاصة في منتصف القرن (6هـ- 12م) فبجاية استوردت مثلا مادة الصباغ من إسبانيا أو الهند و استوردوا أيضا الذهب والرقيق من السودان [3].

وقد دعمت هذه التبادلات التجارية اقتصاد بجاية، ناهيك عن إمتيازات أخرى استفادت منها بجاية، كالإحتكاك الثقافي بينهم و بين الوافدين عليهم. و ما شجع هذا التمازج هو تواضع و بساطة أهالي بجاية مع ضيوفهم، فعرف عنهم أنهم أهل مياسر[4] فكانت التجارة الوقود المحرك الأول للتبادل الحضاري. لكن رغم هذا الانتعاش الاقتصادي الذي عرفته بجاية خلال القرنين (6 و 7هـ) (12-13م)، إلا أنها شهدت فترات قحط و غلاء معيشي، ففي سنة 573هـ إلى غاية 575هـ، عرفت إرتفاع الأسعار, فعمَّ الغلاء بأسواقها، و بعد 39 سنة عاود القحط من جديد، ما دفع الدولة الموحدية بفتح مخازنها الرسمية مجانا للضعفاء، و بثمن للقادرين. فتحسنت الأوضاع مؤقتا ثم ساءت سنة 619هـ إلى 637هـ، انتشرت مجاعة شديدة بالمغرب الإسلامي بسبب الصراع الشديد بين الدولة الموحدية و خصومها، و في سنة 679هـ شهد المغرب الإسلامي تسلط الجراد الذي قضى على الأخضر و اليابس، فعمت المجاعة من

---

[1]- صالح أبو دياك، نفس المقال السابق ، ص 223.
[2]- الإدريسي، نزهة المشتاق، م1، ص 260.
[3]- عز الدين أحمد موسى، المرجع السابق، ص 329.
[4]- الإدريسي، المصدر السابق، م1، ص 260.

جديد و ارتفعت الأسعار وفي سنة 693هـ إشتدت المجاعة و انتشر الوباء الفتاك كالطاعون الذي أودى بحياة الكثير و شمل سائر أقطار المغرب الإسلامي و حتى مصر[1]، وفي كل مرة كان أمراء الدولة يعالجون تلك الأوضاع المزّرية، بإيجاد الحلول المناسبة فيستتب من جديد الأمن و الاستقرار الاقتصادي و الاجتماعي.

5- التركيبة السكانية و الحياة الإجتماعية:

أ- العنصر البربري:

والذي سكن بجاية عصاة البربر[2] من مختلف القبائل، كان بـها قبـيل من صنهاجة [3] الطبقة الأولى حسب قول عبد الرحمن بن خلدون، إلى جانب هؤلاء وجدت بها قبيلة كتامة التي عرف عنها القوة و الشدة[4] و قبائل أخرى كالزناتة[5] ومصمودة وصنهاجة الصحراء[6]، هذه التركيبة المتنوعة ترتبت عنها تغيرات سياسية و اجتماعية كان لها أثر في المجتمع البجائي.

ب- العنصر العربي:

الوجود العربي إنتشر في أوساط العالم بعد الفتوحات الإسلامية، التي مسّت معظم مناطق العالم و المغرب الإسلامي، فقد شهد توافد عربي كبير على مناطقه من بينها بجاية، كما سكنوا القيروان و فاس و سلا[7] و من بين من زار أو إستوطن بجاية

---

[1]- ابراهيم حركات: النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط, إفريقيا الشرق, دار البيضاء ، المغرب الأقصى,1996، ص ص 297, 298.

[2]- أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي, كتاب الجغرافيا, حققه و وضع مقدمته و علق عليه إسماعيل العربي, ط2, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر 1982, ص 142.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون, العبر, ج6, ص 206.

[4]- نفسه, ص 176.

[5]- زناتة: هو جانا بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن يملا بن مادغيس بن زجيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هريك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام, ينظر عبد الرحمن بن خلدون, العبر, ج7, ص 1-7

[6]- العنصر الصنهاجي الصحراوي المتواجد بإفريقيا الغربية, و الذي انبثقت منه الدولة المرابطية, ينظر: إبراهيم حركات, المغرب عبر التاريخ, ج1, ط2, دار البيضاء, دار الرشاد الحديثة, 1405هـ - 1984, ص 239.

[7]- إبراهيم حركات, المغرب عبر التاريخ, ج1, ص238.

مجموعة من العلماء و التجار[1]، هؤلاء الذي أغواهم التحضر و الرقي، الذي وصلت إليه بجاية قاعدة المغرب الإسلامي في العهد الموحدي والعاصمة الثانية للحفصيين.

كما ساهم وجود عرب بني هلال و سليم ببجاية في إثراء عدة جوانب من حياة البجائيين، فهؤلاء العرب الذين بدأ تواجدهم بالمغرب الإسلامي منذ سنة 460هـ اكتسحوا افريقية بحجة الانتقام لبني عبيد، فلم تسلم بجاية منهم، لكن بالرغم من هذا، إلا أن بني هلال كان لهم دور فعال في تعريب البلاد حسب قول الشيخ البشير الإبراهيمي: "أن بني هلال خرّبوا و لكنهم عرّبوا"، فانتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا، كما اندمج الكثير من المغاربة في الكتلة العربية، حتى أنه في ذلك الوقت، كان يصعب التميّيز بين عربي و مغربي بربري، و بسبب هذا الاحتكاك، ابتعد بني هلال عن صفة الدمار والتخريب، و ساهموا إلى جانب نشر اللغة العربية، بنشر الأدب الشعبي، الذي ترك بصمات أخلاقية، كالفروسية و الكرم و حب الشجاعة و الكفاح والحرب لدى الأوساط المغاربية [2].

ج- العنصر الأندلسي:

عرف المغرب الاسلامي وجود العنصر الاندلسي فيه وتكتـــف هذا الوجود اكثر في العهد الموحدي، خاصة بعد إنهزام الموحدين في معركة العقاب[3]، هذه الحادثة كانت من بين أسباب هجرتهم إلى المغرب الإسلامي بالإضافة إلى الاجتياح الصليبي لبلادهم و تعرضهم للقهر و الإستبداد، إلى جانب هذا كله زاد الهجرة تحفيزا بعد سقوط أهم حواضر الأندلس كقرطبة سنة (633هـ-1236م) وبالنسية[4](634هـ-1237م) و

---

[1]- الإدريسي, نزهة المشتاق في اختراق الآفاق, م1, ص 260.

[2]- ينظر: عبد الله شريط و محمد الميلي, الجزائر في مرآة التاريخ, ص 95, عبد الحميد خالدي, الوجود الهلالي السليمي في الجزائر, دار هومه للطباعة و النشر و التوزيع, الجزائر, 2003, ص ص 187, 194, 195.

[3]- معركة العقاب: إنهزم فيها الجيش الموحدي بالأندلس، أمام الجيش الإسباني، سنة 609هـ/1212م، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص،ص، 266-267.

[4]- بالنسية: مدينة بالأندلس تقع شرقي تادمير وشرقي قرطبة وهي برية وبحرية تعرف بمدينة التراب. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص 386.

إشبيلية (646هـ- 1248م) وغيرها من المدن الأندلسية، فكانت بجاية واحدة من المدن التي اختارها الأندلسيون للإستقرار بها، فموقعها الإستراتيجي كان دافعا لنزولهم بها، بالإضافة إلى مناخها الذي يشبه مناخ الأندلس الشرقية و الجنوبية[1]، كما أنها تطل على البحر الأبيض المتوسط وبالتالي قريبة من السواحل الأندلسية.

د- العنصر اليهودي:

كان ببجاية جمع من اليهود[2] المتحفضين على عاداتهم و دينهم، كما عرف عنهم ممارستهم للتجارة كبيع القماش و صناعة الحلي.

هـ- العنصر المسيحي:

رغم الاختلافات العقائدية بين البجائيين و المسيحيين، إلاَّ أنهما استطاعا أن يعيشا وينصهرا في مكان واحد و من بين من سكن بجاية من النصارى جماعة من روما وبيزا و جنوة و فرنسا و البندقية و صقلية، فالعلاقات التجارية كانت سببا في التواجد المسيحي ببجاية، تمخض عنه وجود قناصل تحمي المصالح التجارية لهم وتحفظ رعاياهم، فمثلا مدينة بيزا كان لها قنصل دائم يشرف على أحوال رعاياه[3] هؤلاء الذين سكنوا مقابل المقبرة و الكنيسة و قرب المرسى أيضا، كما كان للجنويين قنصلية أما الفرنسيين فبنو ببجاية مساكن خاصة بهم بالإضافة إلى وجود قناصل يرعون مصالحهم و يشرفون على تجارتهم، و حتى الكاتولكية الفرنسية و جدت لها كنيسة ببجاية تسهر على أقداسها و مراسيمها الدينية.

---

[1]- ناصر الدين مولود سعيدوني, التجربة الأندلسية بالجزائر, مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط, ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات, ط1, الرياض, مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة, 1996, ص 82.

[2]- Marc Cote, paysages et patrimoine Guide d'Algérie, P126

[3]- صالح أبو دياك, نفس المقال السابق, ص 226.

و- عناصر أخرى سكنت بجاية:

إلى جانب العرب و النصارى و اليهود، إستقبلت بجاية جموعا أخرى من السكان فلقد شهد القرن (6هـ-12م) حركة تجارية كبيرة في بيع الرقيق الرومي ناهيك عن العبيد السّود، و قد كان العبد الرومي أرخص من التركي في المشرق، كما تعددت مهن هؤلاء العبيد و الرقيق، فالعبيد السود إمتهنوا الزراعة و الصناعة و التجارة و شاركهم في ذلك الرقيق الروم، كما كان في بعض الأوقات ينخرطون في صفوف الجند في حالة استعداد للحرب[1].

و هكذا كان لكل من هذه العناصر المختلفة الأجناس دور فعال في تعمير بجاية وإنعاش الحضارة بها بسبب التواصل الثقافي و الحضاري والاقتصادي الذي ساهم في إيصالها إلى قمة التطور، فأضحت من كبريات الحواضر الإسلامية.

*** الملابس و الزينة عند البجائيين:**

فقد لبس أهل بجاية مختلف الألوان و أنواع الأقمشة، و هذا راجع لرواج الصناعة النسيجية بالمنطقة، ففي مطلع القرن 6هـ-12م زار الإمام الروحي للموحدين "محمد ابن تومرت" بجاية و لاحظ تشبه ملابس الرجال بملابس النساء، فنهى عن هذه الألبسة حسب ما جاء عن البيذق حين يقول عنه أنه: " كان ينهي الناس عن الأقراق الزرارية و لباس الفتوحيات للرجال و يقول: لا تتزينوا بزي النساء لأنه حرام"[2] وإلى جانب هذه الألبسة، اختص أهل بجاية في صناعة العمائم التي غالوا في تزيينها وتنميقها، كما لبس ملوك بجاية عمائم مذهبة غالية الأثمان كأنها تيجان حيث تصل العمامة الواحدة إلى 500 دينار 600 دينار و أزيد[3]، كما استعمل أهالي بجاية الحنة

1- عز الدين أحمد موسى, نفس المرجع السابق, ص ص 118, 119.
2- البيذق, كتاب أخبار المهدي, ص 36.
3- مؤلف مجهول, الإستبصار, ص 129.

والعطور مختلفة الروائح المستخرجة من أزهار الرياحين و النرجس والياسمين[1]. فهذا الغلو و الترف المفرط سرعان ما سيجد نظاما و ترتيبا في العهدين الموحدي والحفصي خاصة أن حركة التصوف ستعرف إستقرارا في بداية القرن 6هـ- 12م بالديار المغربية و التي تقوم على الزهد و التقشف.

*** مأكولاتـــهم:**

ففيما يخص المأكولات التي عرفها أهل بجاية خلال القرنين 6 و 7 هجريين، فلنا فيها معلومات شحيحة و ما وجدناه أن مدينة بجاية كثيرة الفواكه و الأثمار، فلقد استهلك أهلها بشكل كبير التين[2] الذي كان متوافرا بها و كان أهلها يأكلونه مجففا أوطريا رفقة العنب، كما أكل أيضا البجائيون الزيتون و زيت الزيتون، هذا الأخير الذي استعملوه في الطعام و في صنع أنواع الصابون[3]، بالإضافة إلى استهلاكهم للحنطة والشعير التي اهتم البجائيون بزراعتها وأكثروا من بواديها[4] و لقد أكلوا أيضا اللحوم بما أن بجاية منطقة رعوية انتشرت بها مختلف الدواب من غنم و بقر و غيرها من النعام، و لكثرة الجبال و الأودية أيضا ببجاية إنتشرت تربية النحل الذي و فر للبجائيين العسل الذي كان من ضمن الأطعمة ببجاية، كما استعمل شمعه أيضا في صناعة الشمع الذي نقله الأوربيون إلى بيوتهم وصنعوا منه قناديل للإضاءة[5].

- السكة:

منذ العهد الحمادي و البجائيون يتداولون العملة الفاطمية، إلى غاية عهد آخر أمرائها يحي بن العزيز، الذي غير شكل و مضمون عملة أجداده الذين استعملوها أدبا

---

[1]- صالح أبو دياك, نفس المقال, ص 226.
[2]- أنظر: مؤلف مجهول, الإستبصار, ص 130، الإدريسي- نزهة المشتاق- م1- ص 260.
[3]- صالح أبو دياك, نفس المقال, ص 224.
[4]- الإدريسي- نزهة المشتاق- م1- ص 260.
[5]- صالح أبو دياك, نفس المقال, ص 225.

من خلفائهم العبديين[1]، و بعد سقوط بجاية في يد الموحدين أصبح أهل بجاية يستعملون العملة الموحدية، فكانت تقوم على أساس صنفين من المعدن، الدينار أو المثقال الذهبي والدرهم الفضي الذي كان يضرب منه أنصافا و أرباعا و أثمانا أو يضرب منه ما يعرف بالقراريط و الخراريب[2].

و بهذا أدخلت أصنافا جديدة من العملات و كان منها صغير الحجم، إذ اشتكى يحي بن العزيز من صغر حجم هذه العملات و أن عبيده يتعذر عليهم قضاء حوائجهم[3].

أما الموحدون فقد اتخذوا شكل المربعي للدرهم بحيث كان يرسم في دائرة الدينار شكل يكتب على جانبيه التوحيد و التهليل، أما الجانب الآخر فتدون عليه أسماء الخلفاء[4]. كما كانت ببجاية دار تضرب فيها السكة الموحدية[5] و تواصل تميزها أيضا في العهد الحفصي بما أنها ثاني عاصمة لهم بعد تونس.

- الرواتب و الزكاة:

استفاد الوزراء و رجال البلاط و الحشم و القضاة و الولاة و الفقهاء والطلبة من الرواتب في العهد الموحدي، كانوا ينالونها من خزينة الدولة[6]، و بما أن بجاية ولاية تنتمي إلى إقليم موحدي فهي كذلك استفاد ولاتها و خاصيتها من هذه الرواتب، أما في العهد الحفصي الأول أي القرن 7هـ- 13م إنتهج الحفصيون منهج نظم الدولة المؤمنية، فهم كما أسلفنا سابقا يعتبرون أنفسهم الورثة الشرعيين للدولة الموحدية في جميع مسالكها و أنظمتها و لاشك أن الهنتاتيين استمروا في دفع الرواتب إلى ولاتهم

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون, العبر,ج6- ص 209.
[2]- عبد الواحد المراكشي, المعجب في تلخيص أخبار المغرب, ص 153.
[3]- نفسه.
[4]- ينظر حسن علي حسن, الحضارة الإسلامية في المغرب و الأندلس عصر المرابطين و الموحدين, الطبعة الأولى القاهرة, مكتبة الخانجي, 1980, ص 227، والأخضر درياس, يمينة درياس, حنان دوبابي, جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية, ج2, متاحف الغرب الجزائري, الجزائر- ط 2000- ص ص 138, 139, 143.
[5]- الأخضر درياس و آخرون، نفس المرجع السابق، ص ص ، 138, 139, 143.
[6]- حسن علي حسن, نفس المرجع, ص 216.

ومن بينهم أمراء وولاة بجاية، كما احتلت الزكاة المكانة الهامة خلال القرنين 6هـ-7هـ- 12م-13م فلقد فرضت على أهل بجاية تطبيق أحكامها وفرائضها، و الدليل هو الرسالة التي أرسلها الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي إلى أهالي بجاية في ربيع الثاني سنة 566هـ-1171م و المعروفة برسالة الفصول [1]، يحثهم فيها على الالتزام بالفرائض ومنها عدم منع الزكاة ومن يفعل يستحق الحرب.

6- العمارة في بجاية:

يعتبر العمران دليلا مهما وأكثر مصداقية يشهد على نمو وتطور المدن عبر التاريخ فمدينة بجاية "لؤلؤة المغرب " شهدت تنوعا كبيرا و قفزة نوعية في البنية التحتية تعجب لها القريب و البعيد فالتضخم العمراني الذي حققته إنما هو دليل على الحياة المزدهرة التي عرفتها خلال حقباتها التاريخية.

فالنصوص التاريخية القديمة والتقنيات الأثرية منحتنا المادة الأساسية لهذا المجال الحيوي.

وفي سنة 460 هـ فتح الناصر بن علناس جبل يماقوراية وكان فيه قبيل من البربر يسمون بهذا الإسم وهذا القبيل من صنهاجة وكانوا باقين لهذا العهد أوزاعا في البربر"[2]، فلما افتتح الناصر هذا الجبل اختط عاصمته الثانية وسماها بالناصرية وبدأ يعمرها، فشيد بها مختلف القصور وحصنت بأبواب قوية وأنشأ بها مراكز دينية كالمساجد والزوايا، وجعل لها أيضا أسواق ومباني عسكرية، فأضحت الناصرية أو بجاية كما تعود أهاليها على تسميتها عروس المغرب تستقطب مختلف التيارات الفكرية و الاقتصادية.

---

[1] -حسن علي حسن -نفس المرجع السابق -ص 198و للاطلاع أكثر على محتوى الرسالة انظر الملاحق.
[2] -عبد الرحمن بن خلدون ،العبر ،ج6،ص 206.

فخلال القرنين (6-7 هـ) (12-13م)، تجلت الهندسة المعمارية في توسيع المدن وتشيدها و تحصينها بالأسوار والقلاع و الجسور وتعميرها بالمساجد والقصور فبجاية كغيرها من المدن المغربية، كان لها نصيب في التوسيع و الأستحداث العمراني فيذكرها العديد من المؤرخين و الشعراء، أنها كانت تكسّوها مباني في غاية الإبداع والجمال، حتى أضحت في تلك الحقبة ،تنافس العراق و الشام في العمارة فها هو الشاعر القسنطيني،" الحسن ابن فكون" الذي زار بجاية في أوائل القرن (6هـ-12م) يؤكد لنا في بيت شعري يقول فيه :

دَعِّ العِرَاقَ وَبَغْدَادَ وَشَامَهُمَا* فَالنَاصِرِيَةِ مَا إِنْ مِثْلُهَا بَلَدُ** [1]

" فبجاية العتيقة البناء السامية المينا الأنيقة البقعة....."[2] تمثل لمعانها وتفوقها العمراني في العديد من المنشات وبناءات. فحصنت مثلا بسبعة أبواب، لم يبق منها إلا بابين باب البحر وباب البنود[3]، يعرف الآن بباب الفوقة [4] ويقع في الجهة الشمالية الغربية للمدينة ويعتبر المدخل الرئيسي لها، أما بقيت الأبواب فكان بها باب أمسيون كان يقع في السور الشرقي للمدينة وباب المرسى يقع في منطقة بريجة السفلى ويعرف أيضا بباب السادات وباب اللوز يقع في المرتفع الذي يعرف بجبل خليفة في الجهة الغربية، هذا الباب هو الذي دخل منه بني غانية يوم الجمعة إلى بجاية، كما وجد بابان آخران باب المرقوم والذي يعرف بباب البر وباب دار الصناعة حطم من طرف الإسبان عندما استولوا على المدينة [5].

---

[1]- رشيد مصطفاوي ،" بجاية في عهد الحماديين " ، مجلة الأصالة ، السنة الأولى ،العدد 01، محرم 1391 هـ- مارس 1971م -ص 84 .

[2] -لسان الدين بن الخطيب ،كناسة الدكان بعد انتقال السكان ،ط1،القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية ،2003،ص 117.

[3] - ذكر الإمام الروحي ابن تومرت عند هذا الباب ،بعدما أهرق الخمر " إن المؤمن ثمار والكافر خمار" وباب البحر كان السفن تدخل منه تحته إلى المرسى ،شكله عبارة عن قوس ،ينظر : أبو بكر علي الصنهاجي (البندق) ،كتاب أخبار المهدي بن تومرت ،ص 37.

[4]- يسمى أيضا بباب الجيش.

[5]- عبد الكريم عزوق ، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية) ، رسالة الدكتوراه 2007-2008 /ص ص 155، 156.

كما حضيت مدينة بجاية بأجمل القصور فبعدما اختطها الناصر " بنى بها قصر اللؤلؤة وكانت من أعجب قصور الدنيا" [1]، هذا القصر الذي تم ترميمه وتوسيعه في عهد ابنه المنصور [2] يصف لنا صاحب الاستبصار هذا القصر الذي يحوي على شبابيك حديدية وأبواب مخرمة منحنية مصقولة بالرخام الأبيض مرصع بأحسن النقوش مختلفة الأشكال الهندسية والصور الحسنة فانتهت بإتمام أروع القصور وأعظمها [3]،غير أن هذا القصر لم يكتب له البقاء، فقد تهدم أيام الاحتلال الإسباني وأقيم مكانة ثكنة عسكرية أيام الاحتلال الفرنسي.

ولم يكن قصر اللؤلؤة القصر الوحيد ببجاية، فقصر النجمة لايقل جمالا ودقة في الصنع عنه، هذا القصر المدفون اليوم تحت حصن موسى، كان من أروع القصور البجائية حسب وصف الشاعر ابن حمد يس الصقلي في قصيدته فيقول :

أَعْلَـيْتُ بَيْنَ النَجـْمِ وَالدُبْـرَانِ *** قَصْرًا بَنَاهُ مِـنَ السَّعَـادَةِ بَانِ
فَضَحَ الخَوْرَنَق وَ السَّدِ يرُ بِحُسْنِهِ *** وَسَمَا بِقِمَـتِهِ عَلَـى الإِيـوَانِ
فَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى مَـرَاتِب مُلْكِـهِ *** وَبَدَتْ إِلَيْكَ شَوَاهِـدَ البُرْهَـانِ
وَأَوْجَبَتْ لِلْمَنْصُورِ سَابِقَةَ العـُلَى *** وَعَدَّلَتْ عَنْ كِسْرَى أَنُو شَرْوَانِ
قَصْرٌ يُقْصَرُ وَهُوَ غَيْرُ مُقْـصَرٍ *** عَنْ وَصْفِهِ فِي الحُسْنِ وَ الإِحْسَانِ[4]

ويواصل ابن حمديس الصقلي وصفه لقصر أخر بناه المنصور وهو قصر أميمون:

قَصْرٌ لَوْ أَنَّكَ كَحَلْتَ بِنُـورِهِ *** أَعْمَى لَعَادَ إِلَى المَقَامِ بَصِيرَا
أَذْكَرَّتْنَا الفِرْدَوْسِ حَيْثُ أَرَيْتَنَا *** غَرَقًا رَفَعْتَ بِنَاءَهَا وَقُصُورِ[5]

---

[1] –عبد الرحمن بن خلدون ،العبر،ج6، ص 337.
[2] –الهادي روجي ادريس ،نفس المرجع السابق ،ص 325.
[3] - مؤلف مجهول, الإستبصار, ص 130.
[4] -إسماعيل العربي, دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية, ص 193.
[5] -بجاية سلسلة الفن و الثقافة, طبعة ديسمبر 1970, ص 42.

وقد اندهش الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، حين شاهد روائع بجاية فأرسل صناعه لتعلم الفسيفساء في كييف بروسيا، لإضفاء المزيد من التألق والتحضر في عمارتها[1].

تمتعت بجاية بأعظم المباني فإلى جانب القصور إهتم حكامها أيضا بمباني أساسية في الحياة الإجتماعية و تعتبر من الأوليات التي يستلزم البدء بها، و عليه يعتبر المسجد[2] القطب المقدس الذي ساهم و لا يزال يساهم في الرفع و الحفاظ على الشخصية الإسلامية ، كان في العصر الوسيط له عدة مهام إلى جانب الصلاة فهو مدرسة تعليمية أيضا، كان يتخرج العديد من العلماء في جميع العلوم، فقد كان ببجاية حوالي 73 مسجدا[3]إذ يذكر حسن الوزان أن بها " جوامع كافية و مدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه و العلوم، بالإضافة إلى زوايا الصوفية"[4]، ففي العهد الحمادي بنى الأمير منصور بن علناس، أعظم مسجد سماه بالمسجد المنصوري، كما كان يسمى أيضا بالجامع الأعظم، هذا القطب استقطب الكثير من الطلبة و العلماء، فتخرج منه الكثير حيث تواصلت شهرته إلى غاية الحقبة الموحدية و الحفصية، فالموحدون إستحدثوا نوعا من الفن العمراني، لم يكن معروفا بالمغرب الإسلامي قبل مجيئهم و هو فن عمارة القصبات و من بين العناصر التي تتكون منها القصبة هي الجامع الأعظم الذي كان يقع

1- بجاية سلسلة الفن و الثقافة, طبعة ديسمبر 1970, ص 64.

2- المسجد من فعل سجد أي انحنى إلى الأرض و سجودا أي وضع جبهته على الأرض و المكان الذي تؤدي فيه السجدة يطلق عليه إسم مسجد, و لقد شهد المسجد تطورات, فبعدما كانت تقام به الصلوات, أصبحت أعماله مختلفة بالإضافة إلى العبادة, كان تخطب فيه الخطب, و كان عبارة عن محكمة للتقاضي, و مدرسة تعليمية أيضا. ينظر: عبدلي الأخضر, " الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633-962هـ-1236-1554م)- "رسالة الدكتوراه, 1425هـ- 1426هـ/ 2004- 2005م, ص 107, عبد الكريم عزوق, "المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها (دراسة أثرية) " , رسالة الدكتوراه , 2007- 2008, ص 20.

3- رشيد مصطفاوي, نفس المقال السابق, ص 84.

4- حسن الوزان, نفس المصدر, ج2, ص 50.

في الجهة اليمنى لمدخلها[1]، كما ذكر في مخطوط يعود إلى القرن (6هـ-12م) والذي ألفه حماد[2] أن جامع الأعظم، احتل مكانة عالية بين الأقطاب الدينية المنتشرة بالمغرب الإسلامي لأنه أعظم بناء ديني و هو " جامع عجيب منفرد في حسنة غريب من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة، و هو مشرف على برها و بحرها و موضوع بين سحرها و نحرها، فهو غاية في الفرجة و الأنس ينشرح الصدر لرؤيته و ترتاح النفس و أهلها يواظبون على الصلاة فيه مواظبة رعاية "[3].

لكن هذا المعلم الديني اندثر على يد الاحتلال الإسباني الذي دمّر العديد من المساجد حوالي 10 من 73 مسجد، حولت بعضها إلى كنائس، أو ثكنات عسكرية.

و من مساجد بجاية أيضا مسجد الريحانة، حيث نزل به محمد بن تومرت[4] و مسجد النطاعين و مسجد سيدي عبد الحق الأزدي الإشبيلي دفين بجاية من القرن (6هـ- 12م)، و هو عبارة عن قاعة مربعة الشكل بها محراب و لا يحوي على مئذنة تؤدي به الصلاة و تدريس الطلاب، كما و جد مسجد بالقرب من بجاية بضبط بمنطقة ملالة وهو مسجد سيدي يحي، ربما يكون الفقيه يحي أبي زكرياء الزواوي المتوفي سنة 611هـ، لكن هذا المسجد لم يبق منه سوى آثار محرابه[5].

أما فيما يخص الأضرحة[6] التي كانت ببجاية, فلم يبق منها إلا القليل بسبب يد الإستعمار الإسباني، ومن بين ما تبقى ضريح سيدي أحمد المراكشي (6هـ-12م) وضريح سيدي أبي علي المسيلي (6هـ/12م)، وضريح رمزي، و ضريح سيدي يحيا

1- عبد الكريم عزوق, نفس الرسالة, ص 25.

2- يذكر أن هذا المؤلف انه موحدي ينحدر من سلالة الخليف عبد المومن بن علي لكن هذه الرواية لم تؤكد, و في هذا المخطوط البجاوي, وصفا دقيقا لهذا المسجد, ينظر: رشيد بوروبية, نفس المرجع السابق, ص 208.

3- مولاي بن حميسي، "بجاية في حدائق الكتب"، مجلة الأصالة، العدد 19 السنة الرابعة، صفر، ربيع الأول، 1394هـ/مارس- أفريل، 1974م، عدد خاص ببجاية، ص 102.

4- البيدق، نفس المصدر السابق، ص 36.

5- عبد الكريم عزوق، نفس الرسالة السابقة، ص، 29-35.

6- الأضرحة: جمع ضريح، وهو عبارة عن قبر عمارته تعلوا سطح الأرض وفوقها قبة، وسلاجقة الأتراك، هم أول من صمموا مثل هذا النوع من القبور، ينظر: عبد الكريم عزوق، نفس الرسالة، ص 53.

أبي زكرياء(6هـ-12م)، بالإضافة إلى قبر سيدي عبد الحق الإشبيلي الموجود داخل الجامع الذي يحمل إسمه[1].

لم تكن المساجد والأضرحة الدليل الوحيد على وجود تيار ديني بالمنطقة، بل لعبت الزوايا هي كذلك دورا فعالا في التوعية الدينية والفكرية لدى المجتمع البجائي والزوايا بالتعريف العرفي أو الإصطلاحي، هي عبارة عن مجمع متكون من مسجد ومدرسة، أو معهد للتعليم القرآني والديني، ومأوى للطلبة الداخليين، يعيشون في تلك الزاوية بدون مقابل، ولها طريقة تنتمي إليها وتمويلها عن طريق تبرعات المحسنين من أصحاب الأراضي الزراعية والبساتين والعقارات وغيرها، وفي غالب الأحيان يكون مؤسسوا هذه الزوايا من المتصوفة والزهاد، أما فيما يخص شكل بناءها، فيختلف عن بناء المسجد والمدرسة، فهي تجمع بين الهندسة المعمارية للمسجد والمنزل فيها حيطان قصيرة منخفضة القباب وهي قليلة النوافذ[2].

ولقد اتسمت الزوايا بأدوار أخرى إلى جانب التعليم الديني، وتحفيظ القرآن الكريم ونشره، بل عملت أيضا على نشر اللغة العربية، كما كان لها دور كبير في إنهاء بعض الخلافات الداخلية[3]، كما تخرج منها الفقهاء والعلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام إلى بلاد السودان[4].

لم يعرف هذا المكان الخاص بالعبادة في المغرب الإسلامي إلا في القرن (5هـ/11م)، فلقد كان مقتصر في بادئ الأمر على إيواء الواردين وعابري السبيل والمحتاجين للطعام فسميت بذلك " دار الكرامة" أو " دار الضيوف"، لكن في مطلع

---

[1]- عبد الكريم عزوق، نفسه، ص 54.

[2]- ينظر: عبد القادر عثماني، الزوايا والتعليم القرآني والدين بها، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 02، شوال 1423هـ، ديسمبر، 2002م، الجزائر، ص 80، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية عمرانية إجتماعية، ثقافية، ج1، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ص 140، يحي بوعزيز موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2004، ص، 201- 202- 203.

[3]- عبد الكريم غروق، نفس الرسالة، ص 88.

[4]- أحمد توفيق المدني، نفس المرجع السابق، ص 350.

القرن (6هـ/12م)، عرفت الزوايا بالمغرب الإسلامي نظاما خاصا، وأسس جديدة، غيرت نوعا ما من نظامها القديم[1].

فمنذ القرن (7هـ/13م) وبعد إنتشار الصوفية في جماعات أصبحت الزوايا المكان المفضل للعبادة، بل أضحت كل زاوية تعني طريقة صوفية مع القرن 9هـ/15م[2] فبجاية إنتشرت بها هي أيضا الزوايا، فبعد إنتهاء الطلبة تعليمهم في الكتاتيب (الكتاب) ينتقلون إلى مرحلة التعلم بالزوايا والمساجد، على أيدي فقهاء ومشايخ بجاية، ومن بين هذه الزوايا، نذكر زاوية سيدي موسى أو يحي بدائرة سيدي عيش، تأسست ما بين القرنيين 6 و7 هجريين، وزاوية سيدي الحاج حساين، بنفس الدائرة، تأسست عام 770هـ[3]، لكن معظم الزوايا أغلقت إبان فترة الإستعمار الفرنسي، بسبب دورها النهضاوي والتثقيفي لسكان بجاية، وبعد الإستقلال إستأنفت نشاطاتها وواصلت مسيرتها الدينية حتى يومنا هذا.

كما سهل الكتاب دور المساجد والزوايا في تلقين الدروس الدينية، فلقد كان لأهالي بجاية، إقبال على تعلم القرآن الكريم والحرص على تلقينه لأبنائهم، وبما أن الكتاتيب هي موضع تعليم القرآن الكريم[4]، اهتم البجائيين ببنائها، وقد دعت الحاجة إلى تأسيسها إلى جانب وظيفتها، هو الحفاظ على المساجد من أوساخ الأطفال وضوضائهم[5]، فجاءت

---

[1]- جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن 7هـ، دراسة تاريخية وقراءة تحليلية في مواقف ابن خمير السبتي من التصوف و المتصوفة، ط1، القاهرة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، 1426هـ/ 2005م، ص ص، 44، 75.

[2]- بوداود عبيد، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط، ما بين القرنين، 7و9 هجريين، (13-15م)، لدراسة في التاريخ السوسيو الثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 81.

[3]-محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، بدون تاريخ، ص ص، 218، 219.

[4]- ينظر: عبدلي الأخضر، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، في عهد بني زيان (633هـ-9625هـ/ 1236م-1554م)، رسالة الدكتوراه، 2004- 2005، ص ص، 105-106، فرح سعد، الحياة الثقافية في الدولة الزيانية على عهد يغمراسن سنة (633هـ-681هـ/ 1231م-1280م)، رسالة ماجستير 2002/2001، ص ص، 68، 69، صالح أبوديالي، نفس المقال، مجلة برموك، ص 231.

[5]- يحي بوعزيز، نفس المرجع السابق، ص 199.

عبارة عن حجرة أو حجرتين، تكون إمّا مجاورة للمسجد أو بعيدة عنه، يحوي الكتاب على أبسط الأثاث والفراش، فيه حصير مصنوع من الحلفاء، أو الدوم، بالإضافة إلى الألواح الخشبية، تدون عليها آيات قرآنية، تكتب بأقلام من القصب تغمس في دواة من الصمغ أما مكتبته فيها مصاحف وبعض الكتب في السير والنحو والأدب وغيرها[1] وكان أبناء بجاية يتعلمون التعليم الأولي بالكتاب ثم ينتقلون إلى الزوايا والمساجد لإتمام التعليم في شتى العلوم على يد كبار المشايخ.

أما المدرسة، فلم تكن موجودة في القرن (6هـ/12م)، اكتفت هذه الحقبة بمعلّم ديني كان يعتبر مدرسة، وهي الزاوية التي كانت بالقرب من المساجد، لكن في مطلع القرن (7هـ/13م) بدأ يظهر نظام رسمي جديد لهذه المؤسسات وأول من استحدثها هم بنو حفص، فلقد اهتموا ببناء المدارس ذات مستوى تعليمي عالي على غير عادة وبساطة الزوايا، فتونس كانت بها مجموعة من المدارس، أما بجاية فأكتفت بالدور الذي تقوم به زواياها ومساجدها الجامعة، ولقد عرفت المدارس إنتشارا واسعا في مطلع القرن (8هـ/14م)، فتلمسان إحدى مدن المغرب الإسلامي، كانت بها مجموعة من المدارس. كمدرسة التاشفينية ومدرسة العباد وغيرها[2] .

كما كان ببجاية عدة أسواق وساحات كبيرة وحومات[3]، إذ كانت المدينة مقسمة إلى 21 حيا[4] ومن بين هذه الحومات، حومة باب البحر وحومة باب أميسون وحومة اللؤلؤة وحومة المذبح، حيث كان يساق إليها السبي، فينزل أهالي بجاية للشّراء بهذه الحومة، وحومة بساط الأموي وحومة رابط المتمني وحومة بئر مسفرة[5].

1- محمد نسيب، نفس المرجع، ص 19.

2- للمزيد من المعلومات حول مدارس تلمسان، ينظر: يحي بن خلدون، بغية الرواد، والتنسي، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان.

3- حومة يقصد بها حي أو شارع، درب.

4- أحمد الشنتاوي، إبراهيم خو رشيد، دائرة المعارف الإسلامية، ج3، م3، ص 351.

5- الغبريني، عنوان الدراية، ص ص ، 11، 59.

ومن أسواق بجاية نذكر السويقة التي تقع بالغرب من" باب قاطنت"، هذه السويقة مرّ منها الخليفة الموحدي عبد المؤمن رفقة وجهاء دولته، فأمر بشراء جميع دكاكين تلك السويقة وأوقفها عليهم، وأمر لأصحابها بمال كثير[1]، ويذكر حسن الوزان أن أسواق بجاية جميلة منسقة أحسن تنسيق"[2] كسوق الصوف وسوق القيصرية وسوق باب البحر وسوق يقع بالقرب من حومة المذبح كما ذكرنا آنفا أنه كان يباع فيه السبي[3]، فتنوع أسواق بجاية جعل منها ملتقى تجاريا هاما في الداخل والخارج.

كما اهتم البجائيون بتشييد الأسوار فعرفت بجاية بسورها العظيم، الذي بني أيام الناصر بن علناس والذي رفع جداره الموحدين بسبب غزو الميورقي لبجاية[4].

أما المقابر فوجدت بها مقبرة أبي علي ورسمية[5] الواقعة قرب حومة بئر مسفرة.

كما كثرت الحمامات والفنادق والمراكز الصحية[6] ودور ورشات الصناعة المختلفة، ناهيك عن الحدائق والبساتين التي كانت تضفي رونقا وجمالا على المدينة،التي حافظت على لقبها "لؤلؤة المغرب"، ولقد أولى الموحدون والحفصيون عناية كبيرة بعمرانها وزادوا من ثرائها، بل أضافوا عليه روائعَ وسَخَاءَ فناً جعل المدينة تتباها بحلل جديدة ومتنوعة، أبقتها حية طوال تلك الحقبة المزدهرة في التضخم العمراني الذي لم يبق منه اليوم سوى بعض الأسوار وباب البحر، أما القصور فلم يبقى لها أثر ما عدا قصر النجمة، الذي حوله الإسبان إلى حصن، أما قصر اللؤلؤة فأقيمت مكانه ثكنة عسكرية[7].

1- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 170.
2- حسن الوزان، نفس المصدر السابق، ص 50.
3- صالح أبوديالك، نفس المقال، مجلة اليرموك، ص 235.
4- رشيد مصطفاوي، نفس المقال، مجلة الأصالة، ص 85.
5- الغبريني، نفس المصدر السابق، ص 204.
6- حسن الوزان، نفس المصدر السابق، ج2، ص 50، يذكر وجود مارستنات ببجاية وهي عبارة عن مراكز صحية مستشفيات اليوم.
7- بجاية سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، ديسمبر، 1975، ص 26.

مواد البناء التي استعملها البجائيون:

استعمل المعماريون في بناءاتهم مختلف المواد، كالمواد الطينية الغير المحروقة مثل الطوب، والمواد الطينية المحروقة كالطين، الذي كان يصنعونه في قوالب ثم يجففونه ويحرق أخير، ليكون جاهزا لأستعماله في البناء ومنه ما يستعمل كالقرميد في سقف البنايات، فيوضع مائل بدرجة محدّدة، حتى يستقر في مكانه إلى جانب هذه المواد، وظفوا أيضا مواد طبيعية أخرى كالحجارة التي كانت تجلب من المحاجّر، فبعد تقسيمها حسب استعمالاتها، تنقل إلى مواقع البناء. بالإضافة إلى الخشب والمواد المعدينة والزجاجية فالخشب[1] كان يصنف حسب نوعيته، ثم يصنع منه الأبواب والنوافذ واستخدم أيضا داخل البناء في شد وتمتين عناصر البناء، أما الزجاج فكانت له استعمالات كثيرة من بينها تزيين النوافذ فهو يمنع دخول الرياح والحرارة والأمطار[2] إلى البيوت، كما يعتبر مادة أساسية بالنسبة لأثاث البيت، كالكؤوس والمزهريات،وغيرها من أدوات البيت.

كما اهتم البجائيون بدهن مبانيهم بألوان مناسبة، وخاصة اللون الأبيض[3]، أما القصور فزينت بالزليج ومختلف الزخارف الهندسية التي تدل على الذوق الرفيع لنحّاتي ونقّاشي بجاية، فقصر اللؤلؤة وآميمون والنجمة الذي وصفهم الشعراء والكتاب لدليل على براعة مهندسي بجاية.

وعليه فإن مدينة بجاية عاشت في هذه الفترة المدروسة حياة حضارية مزدهرة اتسمت في الوهلة الأولى، أي في عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي، بالبساطة والابتعاد عن مظاهر الترف كما استطاع الموحدين أن يقضوا على التبذير المفرط

---

[1]- موقع بجاية الإستراتيجي، الغني بمختلف المواد الطبيعية لاسيما الخشب لكثرة الغابات بها.

[2]- الأمين عمر: مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنيين(4-6هـ/10-12م)، للفترتين الزيرية والحمادية (آشير- قلعة بني حماد- بجاية)،رسالة ماجستير 2001/2000م، الجزائر العاصمة.

[3]- رشيد مصطفاوي، بجاية في العهد الحمادي، مجلة الأصالة، العدد19، ص 85.

الفصل الثالث:

- بجاية و دورها الثقافي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط -

1- الحياة الفكرية خلال القرنين (6-7 هـ) (12-13 م).

2- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الثقافة ببجاية.

3- المظاهر الثقافية المتبادلة بين المغرب الإسلامي و المشرق العربي..

4- دور بجاية الحضاري في النهضة الأوربية.

5- أصناف العلوم ومشاهير العلماء ببجاية.

والمحافظة على التقشف والصرامة وهذا لم يمنع ازدهار عصرهم بالنشاط التجاري والصناعي، كما اتسعت في عهدهم المبادلات التجارية فمثلا بجاية كانت تتعامل بالدرجة الأولى مع المشرق ثم يأتي في الدرجة الثانية تعاملها مع دول الأوربية، الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، كما كان الموحدون يملكون أسطولا ضخما من بينه أسطول بجاية الذي عزز من قوة الدولة حتى أصبح أسطولها ثاني أسطول في حوض البحر الأبيض المتوسط، بعد أسطول الإسكندرية، بالإضافة إلى اتساع عمرانها، كما عرفت بجاية إقبال العديد من القناصل الأجنبية لدول تجارية إقتصادية، واتسم مرساها بحركة إقتصادية هائلة دعمت من ركائز الدولة الموحدية، وكما ذكرنا أنها كانت تصدر مختلف السلع وتستورد منتوجات أخرى، بالإضافة إلى تنوع الصناعات بها، هذا الجو الحضاري لم ينقطع بعد سقوط الدولة المؤمنية، بل استمرت فيه بجاية في العهد الحفصي الأول القرن 7هـ/13م، بما أن الدولة الحفصية دائما اعتبرت أنها الوريث الشرعي للدولة الموحدية، فلقد سارت على مسار نظام وأسس الدولة الموحدية، في كل نشاطاتها.

الفصل الثالث:
بجاية و دورها الثقافي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط.

1- الحياة الفكرية خلال القرنين (6-7 هـ) (12-13 م)
2- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الثقافة ببجاية
3- المظاهر الثقافية المتبادلة بين المغرب الإسلامي و المشرق العربي.
4- دور بجاية الحضاري في النهضة الأوربية
5- أصناف العلوم ومشاهير العلماء ببجاية

1- الحياة الفكرية خلال القرنين (6-7 هـ) (12-13 م):

اعتبرت بجاية خلال القرنين 6-7 هجريين (12-13 م)، مركزا إشعاعيا للثقافة و الحضارة، مثلتها مساجدها الجامعة وزواياها الصوفية، التي تخرج منها جمع من علماء أبناء بجاية و الذين توافدوا عليها من مختلف الأصقاع، فهذا الوضع جعل منها أهم مركز ثقافيا بالمغرب الإسلامي.

كما عرفت حركة نهضاوية فكرية واسعة النطاق، مسّت حتّى مدن الحذاء الإيطالية والفرنسية وكل بلدان غرب ووسط أوربا ، أهمية كان موقعها المتفتح على كل التيارات الخارجية، كان دافعا للتواصل في شتى المجالات منها المجال الثقافي والفكري وبذلك تدفق عليها كل متعطش للحضارة و الراغب في التشبع بمختلف العلوم فكانت بذلك مكة الصغيرة وقطب لكثير من البلدان[1].

إن انتعاش الحياة الفكرية ببجاية ليس وليد القرن 6 و7 هجريين ، إنما هو ازدهار ثقافي ، منذ العهد الحمادي [2] ، عندما كانت بجاية تمثل مركز الثقل للدولة الحمادية واستمر نشاطها العلمي و الثقافي في عهد الموحدين (6 هـ -12 م) ، الذين أولوها اهتماما كبيرا ، فنالت" لؤلؤة المغرب" أسمى منزلة وعظم أمرها بين أوساط المجتمعات المغربية وأضحت بذلك عاصمة ثقافية بالمغرب الإسلامي وحتى بالأندلس.

وقد جعل منها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي جعل منها هدفا للحج الحقيقي وقبلة للثقافة وللحركة العلمية ، وله بها المدينة ذكريات، ففيها التقى بإمامه الروحي"محمد ابن تومرت". لم يكن عبد المؤمن بن علي الوحيد الذي شجع العلم ببجاية، حيث عمل الموحدون على تنشيط هذه الحركة من بعده، كما اتسعت المواد التي تدرس بالمساجد والزوايا وتذوق الطلبة مختلف العلوم منها علم الفلسفة ، هذا العلم الذي عرف رواجا

---

[1] – الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق م1،ص 260 .

[2] –ينظر: عبد الله شريط ومحمد الميلي ، الجزائر في مرآة التاريخ ، ص 70، عبد الله علي علام، الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف بمصر، 1971م، ص 286.

كبيرا في العهد الموحدي ، خاصة على يد ابن رشد[1] الذي تتلمذ عليه الكثير من الطلبة. في العهد الموحدي انتشرت العلوم الدينية إلى جانب الفلسفة، ذلك لأن الدولة تأسست على قاعدة دينية فكان طلبة المغرب الإسلامي ومن بينهم طلبة بجاية يدرسون مجموعة من المؤلفات الدينية أهمها: الموطأ للإمام مالك وإحياء علوم الدين للغزالي وجامع البخاري و مسلم و الترميذي وكتب في التفسير، كتفسير الزمخشري وابن عطية وعبد الحق الإشبيلي. كما درس الطلبة علوم أخرى كعلم النحو و اللغة و الأدب والشعر فكان من جملتها، كتاب لسيبويه والقانون للجزولي، والمقامات للحريري وشروح دواوين الجاهلين و الإسلاميين بالإضافة إلى كتب طبية أشهرها كتاب القانون وكتاب الرجز الطبي لابن سينا، الذي يعتبر من أشهر علماء الطب بالعالم الإسلامي و المسيحي [2].

وقد انتشرت ظاهرة دينية في هذه الحقبة، لاسيما بالمغرب الإسلامي، ألا وهي "الروحانية الإسلامية" أو ظاهرة التصوف.

وهو علم من العلوم المحدثة في الدين الإسلامي، ظهر كفرقة إسلامية في القرن الثاني للهجرة – الثامن ميلادي في عهد العباسيين، وأصل هذا العلم هو الاعتكاف على العبادة والانقطاع إلى الله و الابتعاد عن ملذات وزينة الحياة الدنيا، وسبب تسميته بالتصوف هو لجوء كل زّاهد إلى لبسّ الصوف مخالفة للناس في لبسّ فاخر الثياب [3].

1- ابن رشد هو: محمد وليد أحمد بن رشد الأندلسي، البريري أبو الوليد (الحفيظ)، ولد 520هـ/1126م، بقرطبة بالأندلس، عالم مفكر ساهم بمؤلفات كثيرة، كانت عبر التاريخ بمثابة نهضة علمية، ككتاب دكاء الفترة، وغيرها، توفي بمراكش سنة 595هـ/1198م.

2-عبد الله شريط ومحمد الميلي ، نفس المرجع السابق ، ص ص 79-80.

3-ينظر عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ص 584.

وقد عرف المغرب الإسلامي التصوف في القرن 3هـ و4 هـ (9م -10م) أي في زمن بني عبيد ، لكن العلماء أنكروا ذلك عليهم وكفّروهم [1] وفي القرن 5 هـ -11 م انتشرت الرباطات و الزوايا حيث اتخذها الناس أماكن للعبادة و إيواء الواردين ، إن أول شخصيات الفكر الصوفي بالمغرب الإسلامي ، هو المتصوف أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد [2] لقد تجول في أنحاء المغرب الأقصى في عهد المرابطين ، و منع أن يحرق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي غير أنه قد تم حرقه على يد المرابطين ومع ذلك لم يتوقف انتشاره وتمكن من أن يحضى بمكانة خاصة لدى صوفية المغرب [3] ومن بينهم أبي الفضل الذي واصل دعوته و لبس الصوف أيضا. [4] فكان من ضمن الأوائل الذين شجعوا هذه الظاهرة الدينية بالمغرب الإسلامي ولقد اهتم الخلفاء الموحدين بالمتصوّفة ، والدليل هو الرسالة التي بعثها أحد أبناء الخليفة الموحدي أبو يعقوب المنصور (580-595 هـ) إلى أبيه يحثه فيها على رعاية المتصوفة وتقريبهم إليه ، لما يتمتعون به من وزن سياسي في الدولة [5].

وبعد انتكاس قصير لحركة التصوف بالمغرب الإسلامي ، خاصة في القرن(5 هـ-11م) تجدد نشاطها بمجيء الدولة المؤمنية، التي شجعت معارف الفلسفة كما ذكرنا أنفا، بالإضافة إلى حركة الحج و التجارة، التي كانت ضمن الآليات للاتصال

---

[1] -ينظر: مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ،ج2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 347، فرح سعد، الحياة الثقافية في الدولة الزيانية على عهد يغمرسن (633هـ-681هـ)/ (1231-1280م) رسالة ماجستير ،2001-2002، ص 104.

[2] - له وصية موجودة ضمن إحدى مخطوطات مكتبة برلين ، ينظر نص هذه الوصية في مرجع لـ :إبراهيم القادري بو تشيش ، اضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، مارس، 2002، ص ،ص 56،57.

[3] - ينظر: بوداود عبيد، ظاهرة التصوف بالمغرب الأوسط ما بين القرنيين(7- 9هـ/ ق 13-15م)، دراسة في تاريخ السوسيو الثاقفي، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 40، إبراهيم القادري بوتشيش، نفس المرجع السابق، ص 143-147.

[4] - جمال علال البختي، الحضور الصوفي في الأندلس، والمغرب إلى حدود القرن السابع هجري، دراسة تاريخية وقراءة تحليلية، في مواقف ابن خمير السبتي من التصوف والمتصوفة، ط1، القاهرة، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، 1426هـ/2005م، ص 46-65.

[5] - ابراهيم قادري بوتشيش، نفس المرجع السابق ، ص 53

واقتسام المغاربة مع أشقائهم المشارقة و الأندلسيين الزّاد المعرفي في شتى العلوم من بينها ظاهرة التصوف ولاسيما عودة كتاب الغزالي إلى اعتبار أهالي المغرب الإسلامي بداية القرن(6هـ-12م)[1]. بجاية شهدت كغيرها من المدن ظاهرة التصوف في بداية العهد الموحدي، على يد مجموعة من المهاجرين المتصوفين الأندلسيين، الذين وقع اختيارهم عليها، لعدة عوامل منها موقعها الجغرافي على الطريق البحري الرابط بين مدن شرق الأندلس والمشرق العربي، بالإضافة إلى امتلاكها ثروات اقتصادية كبيرة ووقوعها بعيدا عن مراكز الحكم لبلاد المغرب الإسلامي عامة[2]. وعليه لجأوا إلى بجاية، ونشروا فيها مختلف العلوم، من بينها علم التصوف، ويأتي على رأس المتصوفة الأندلسيون الذين فضلوا الاستقرار ببجاية الوليّ الصّالح و الفقيه الورع وشيخ الشيوخ أبي مدين شعيب[3] وهو من ضمن أعلام الفكر الصوفي في عصر الموحدي إلى جانب شخصيات أخرى توافدت على بجاية خلال القرنين 6-7 هجريين (12-13 م).

وبعد سقوط الدولة المؤمنية وانقسامها إلى ثلاثة دويلات بربرية، زيانية، مرينية وحفصية هذه الأخيرة التي واصلت بدورها تشجيع الحركة العلمية بإفريقية، وقد توسعت عملية التعريب بفضل القبائل الهلالية وبهذا عرفت افريقية عامة و بجاية خاصة انسجاما نسبيا بين اللغة و الثقافة، كما عرفت بجاية أيضا انتشار و انتصار المذهب المالكي بعدما تبنى المغاربة مذهب ابن تومرت، لكن تخلوا عنه وعادوا إلى المذهب المالكي من جديد كما لقيت أيضا ظاهرة الزوايا ازدهار مدهشا[4]، بسبب الحركة الصوفية.

نشطت حركة التأليف، خاصة في عهد أبي زكرياء الحفصي وولده المستنصر بالله وانتشرت حركة التآليف، حازم القرطاجني وابن العصفور النحوي وابن الأبار الأندلسي

---

[1] – بوداود عبيد : نفس المرجع السابق ، ص 42.

[2] – نفسه ، ص 81

[3] – أبي مدين شعيب الأندلسي ستأتي ترجمته كاملة في الصفحات اللاحقة.

[4] – محمد الهادي الشريف ، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس ،ط2 ،لسراس للنشر،1985،ص ص 59،60.

وابن المطرّف المخزومي وأحمد الغبريني [1] صاحب كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء المائة السابعة ببجاية، التي جاءت اغلب تراجمه للمتصوفة أي ما يقرب 41 متصوف، فمصدر الغبريني دليل قاطع وشاهد صادق على الثروة العلمية التي كانت تزخربها بجاية. وعليه شهدت المدينة خـــلال العهـــدين الموحـــدي والحفصي (6هـــ-7هـــ)(-12م -13م) حياة ثقافية غنية ونشطة ،تمثلت في التنوع الهائل لتآليف الدينية والأدبية و العلمية، فكان لطلبة بجاية حظ كبير في تذوق كل هذه الطبوع العلمية، كما حرص ولاتها على رعاية ،كل ما يمس مناهج الفكر و أسس العلم هذا الاهتمام دليل على شغفهم وولعهم البالغ بالعلم و القراءة و تتلألأ بجاية بالجلسات العلمية والمناظرات الفقهية التي كانت تقام بالمساجد أو لدى الولاة تحت رعاية خلفاء الدولة، الذين حافظوا على جوهر الدين ونشر أصوله العقلية و النقلية.

2- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الثقافة ببجاية:

قصد مدينة بجاية عدد هائل من الأندلسيين ، لاسيما بعد أن استحوذ الأسبان على أهم مدن الأندلس مثل قرطبة ، اشبيلية، بلنسية ، سرقسطة وغيرها [2]، فلجا أهالي هذه المدن إلى غرناطة [3]، التي كانت تحافظ على قوتها السياسية آنذاك لكن مساحتها لا تستطيع احتواء من هاجر إليها، فاكتظت بهم هذا ما اضطرهم إلى الهجرة نحو المشرق والمغرب الإسلامي، ومدينة بجاية إحدى المدن المغربية، التي استقبلت هذه الوفود التي كانت تبحث عن الاستقرار و الأمن، فكان موقع بجاية المتميز كما ذكرنا سلفا إحدى

---

[1] -المهدي بوعبدلي ،" الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية و التركية و آثارها" مجلة الأصالة العدد19 1394هـــ-1974م عدد خاص ببجاية، ص 137.

[2]- ابراهيم خورشيد و آخرون ،دائرة المعارف الإسلامية ج2- الأندلس ، ص 142 كمال السيد أبو مصطفى محاضرات في تاريخ المغرب و الأندلس ، مركز إسكندرية للكتاب 2006، ص 212.

[3]- غرناطة تقع على مسافة 696 كلم من مادريد العاصمة الحالية لإسبانيا، وكلمة غرناطة تعني بلسان العجم "الرمانة" ينظر إسماعيل العربي دولة بني الزيري ملوك غرناطة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 1982، ص 131.

عوامل هجرة الأندلسيين إليها، فضلا عن مكانتها السياسية والاقتصادية التي تتمتع بها بجاية، بالإضافة إلى توسع عمرانها حتى أنه بلغ الجهات العليا المحاذية لجبل قوراية كما أنها كانت من أهم قواعد المغرب الإسلامي في العهد الموحدي، فلقد حافظت على مكانتها التي اكتسبتها منذ العهد الحمادي واستمر نفودها وتفوقها إلى غاية العهد الحفصي الأول، حيث كانت في الدرجة الثانية بعد مدينة تونس[1] .

تلقى المهاجرون الأندلسيون الترحيب و الرعاية الواسعة من طرف سكان بجاية الذين عرفوا بحسن الضيافة و الكرم، فلقد كان الشيخ الإمام أبي مدين شعيب يفضل بجاية على الكثير من المدن ويقول "أنها معنية على طلب الحلال "[2]، كما كان يكانها لا يتذمرون من ورود الغرباء على ديّارهم ، بل وصفهم الكثير ممن لّجأ إليهم أنهم يعطفون على الفقراء ويعظّمون العلماء ويحبون الأولياء [3].وعليه انتشرت محاسن وإيثار سكان بجاية عبر الأصقاع، مما زاد من توافد الهجرات الأندلسية و المشرقية وغيرها إلى عاصمة الثقافة الإسلامية.فنتج عن ذلك احتكاك وتمازج بين سكان بجاية وضيوفهم فأدى إلى التبادل المعرفي وانصهار اجتماعي واقتصادي[4] ولم تكن العلاقات المغربية الأندلسية بعلاقات محدثة، بل لها جذور ضاربة منذ الفتح الأندلسي، واتسمت خاصة في التبادلات التجارية التي تعتبر أول نواة للتعامل والاحتكاك البشري. فلقد عرف مرسى بجاية منذ العهد الحمادي نشاطا اقتصاديا بين الصنهاجيين و الأندلسيين وتواصل في عهد الدولة المؤمنية، والعهد الحفصي، كما يعتبر الأندلسيون أهم عنصر تعامل معه البجائيون بسبب قرب المسافة بينهما.

1- ناصر الدين سعيدوني ، التجربة الأندلسية بالجزائر ،مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في حياة الثقافية بالمغرب الأوسط ،ص ص .81،82،83.

2- بوداود عبيد، نفس المرجع السابق، ص 81.

3- نفسه.

4- عبد الله علي علام، نفس المرجع السابق، ص 287.

ومن بين من توافد على بجاية، الحرفيين و الصناع والمعماريين، هؤلاء ساهموا في تواصل و إنعاش المدّ الحضاري ببجاية، ترتب عنه تلاقح المعائش و العوائد والأخلاق الكريمة فامتزج الفن الزخرفي الأندلسي مع الفن الصنهاجي.

كما انتشرت الموسيقى الأندلسية و الموشحات، فتذوق سكان بجاية فنا ذا صيغة جديدة، لكن هذا المجال لم يلق ترحيبا من طرف الموحدين، فالخليفة يعقوب المنصور الموحدي، أمر بقطع الملهين و القبض على المغنيين [1]، فانقطعت الموسيقى وآلات اللهو لأن الدولة الموحدية عرف عنها الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فزعيمها ابن تومرت كانت له أول بادرة في مضايقة الموسيقى ببجاية، حين كسر آلات اللهو وحارب المنكر خلال إقامته بها.

وبعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور، اختفت كل المضايقات ضد الموسيقى، وعادت بجاية إلى الألحان الأندلسية.

لم تحتضن بجاية الحرفيين و الفنانين و المعماريين فقط، بل و العلماء أيضا فلقد استوطنها عدد من العلماء الأندلسيين في مختلف العلوم، ناشرين معارفهم ومناهجهم التعليمية، مساهمين في توسيع رقعة العلم ببجاية في مختلف الميادين، كميدان البحث خصوصا الرياضيات و الهندسة والطب و الصيدلة وميدان العلوم العقلية كالفلسفة وعلم الكلام و الجانب الأدبي و الفني كفن التوشيح[2] و الزجل[3]، كما انتشر نوع من الشعر

1-محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنيين، 16-17م، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 1991م، ص 39.

2 -التو شيح : استحدث أهل الأندلس فن يدعى بالموشح ، ينظمونه أسماطا أسماطا و أغصانا أغصانا ، كما يكترون منها ومن اعاريضها ، ويلتزمون فيه بالقوافي و الأوزان متتالية في كل قطعة ،وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات وأول من أحدث هذا النوع من الشعر هو مقدم بن معارف القبريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمّد المر واني : ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ،ج2، ص،767.

3 -الزجل: هو جزء من التو شيح، لكن بعد التغيرات استحدث فيه عناصر جديدة، فالأندلسيين نظموا في طريقته بلغتهم الحضرية ، من غير أن يلتزموا فيها إعرابا ،وأول من أبدع هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان ينظر: المقدمة،ج2، ص 778.

خاص بالأندلسيين وهو عروض البلد، أي الشعر المنظوم بلغتهم الحضرية [1] وغيرها من العلوم سنذكر روّادها بالتفصيل في عناصرنا اللاحقة.

وبهذا نستطيع القول أن المهاجرين الأندلسيين بمختلف توجهاتهم وتخصصاتهم أثروا في النهضة العلمية ببجاية، كما تأثروا بعلمائها و اكتسبوا معارف و مناهج جديدة بالإضافة إلى تأثرهم بعوائد سكان بجاية، فالأندلسيين كما ذكرنا لقوا الرعاية الكبيرة خلال تواجدهم ببجاية، فسرعان ما تأقلموا مع هذا الشعب المضياف، بل تعدّت مكانتهم إلى اعتلاء أهم مراكز في الحكم خاصة في العهد الحفصي، فلقد اعتمد ولاة الحفصيين ببجاية على العنصر الأندلسي مما زاد في نفوذهم ودّعم مكانتهم فأصبحوا رجال البلاط وعمال الدواوين حجاب(وزراء) احتكروا المناصب الدينية والتعليمية،فاستحوذوا بذلك على أعلى المناصب الإدارية [2]. و ظل هذا الوضع قائما بعد القرن 7هـ-13م إلى غاية سقوط بجاية، في يد الاحتلال الاسباني، وبذلك تقلص النفوذ الأندلسي، لكن الحركة العلمية وورود العلماء على بجاية لم ينقطع، بل شهد طفّرة كبيرة خاصة بعد حرب الإسترداد.

3- المظاهر الثقافية المتبادلة بين المغرب الإسلامي و المشرق العربي:

بجاية كما نعلم هي جزء من الوحدة المغربية الإسلامية، ارتحل بعض من علمائها إلى المشرق العربي بغية السياحة أو الرغبة في المزيد من العلوم، وكان الحج المحرّك الأول لهذه الحركة التنقلية في المشرق، الذي يعتبر بالنسبة للمغاربة قطب جاذب للحركة العلمية وردع للحروب الصليبية، إلاّ أنه بقي محافظا على مكانته العلمية.

بدأت الحركات العلمية و الثقافية نحو المشرق، منذ بداية القرن (3 هـ-9م) محتشمة وسرعان ما نشطت خلال القرنيين(4-5هـ/10-11م). في بداية القرن (6 هـ-12م) كانت البداية الحقيقية للإقلاع العلمي والثقافي، والحدّ الفاصل بين

---

[1]-عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ج2، ص 783.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية، ص 84.

مرحلتين لحركة علماء المغرب الإسلامي خلال القرن(7هـ -13م)، بحيث زاد عددهم وتضاعف أكثر [1] بسبب عدة عوامل كحبّهم لطلب العلم وشغف الإطلاع واكتساب علوم جديدة أهمها العلوم الإسلامية كعلم التصوف، الذي عرف أولا بالمشرق ثم انتشر لدى الأوساط المغربية بداية القرن (6هـ -12م) ومن بين المناطق المشرقية، التي ارتحل إليها علماء المغرب بصفة عامة و البجائيين بصفة خاصة، نذكر منها القاهرة كانت حاضرة الفاطميين و الإسكندرية وبغداد و الحجاز ودمشق حاضرة بلاد الشام، هذه الأخيرة توافد عليها عدد كبير من علماء استهوتهم عطاءاتها الثقافية ،فساهموا باختلاف نخبّهم وتخصصاتهم الدينية و الأدبية والعلمية، في تفجير طقاتهم بها،تاركين بصمات من ثقافتهم، فمنهم من استوطن دمشق وغيرها من المناطق المشرقية، ومنهم من ارتحل إلى بلاده، حاملا زادا علميا ملّما بأسس ومناهج علمية جديدة. لقد وفّر سكان المشرق لسكان المغرب الإسلامي كل الرعاية فمنهم اشتغل في مناصب عالية كالقضاء، مثل الفقيه زيّن الدين عبد السلام الزواوي، اشترط على السلطان بيبرس أن ينصبه قاضي القضاة وبالفعل استمر في منصبه إلى غاية وفاة السلطان، كما تولى من بعده نفر من أسرته إلى ما بعد القرن (7هـ -13م)، هذا التميز الذي انفرد به علماء المغرب الإسلامي، دليل على مدى قدرتهم العلمية وثقافتهم الواسعة التي أكسبتهم أعلى المناصب بالإضافة إلى القضاء، وبرعوا كذلك في علم الحديث ودرّسوه، كما نبغوا في علوم اللغة العربية، بل نافسوا إخوانهم المشارقة، كابن المعطي الزواوي صاحب الألفية الأولى [2]، وامتهنوا كذلك الطب مثل الحكيم أبي الحكم المغربي و الصيدلة أيضا ، منهم من عمل في الخطط كالخطابة وولاية خزانة الكتب[3] وغيرها من الوظائف التعليمية.

---

[1] -عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنيين التاسع و العشرين الميلاديين (14/3هـ)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1995 ،ص 235 - 238.

[2] -أعمال الملتقى دولي في التاريخ، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة منتوري قسنطينة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر ،23-24 افريل 2001، ص 189.

[3] -عز الدين احمد موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ،ص 90.

وظهر التأثير المغربي على المشرق خلال القرنيين (6-7 هـ/12-13م) على الكثير من المشارقة كلبس الزّي المغربي كالبرانس المخططة و العمائم ناهيك عن الأكلات المغربية التي تعودوا على أكلها كالطعام، و المحمصة وهي تصنع على شكل حبات كروية أصغر من حبة الحمص أو الشعيرية [1]، كما أكلوا أيضا التين المجفف الذي كان يجلب من بجاية. بالإضافة إلى هذا ، لوحظ لدى بعض المجتمعات المشرقية استخدامهم في لهجتهم المحلية بعض من اللهجة المغربية، فمثلا سكان الإسكندرية عوض أن يقولوا في مخاطبتهم " أكل ، أشرب ، أروح " يضيفون النون مثل " نأكل ونشرب ونروح " وهذا دليل على عمق وتأصل الوجود المغربي في المجتمعات الشرقية، فبعض أحياءها وأسواقها تحمل أسماءا مغربية، وحتى أنه وجدت أسواق تسمى سوق المغربية[2] كما حمل سكان المغرب الإسلامي من بينهم البجائيون المدّيح الدّيني المقترن بالقصائد الصوفية إلى الديار المشرقية، وهذا النوع من الاحتفالات الدينية هو من مستحدثات القرن 7 هـ -13م.[3]

وكما عرفت المناطق المشرقية مثل هذه التأثيرات المغربية الإسلامية، فقد عرف المغرب الإسلامي عامة و بجاية خاصة بدوره في العهدين الموحدي و الحفصي، بعض من التقاليد و التأثيرات المشرقية و على رأسها الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، الذي نقله من المشرق إلى المغرب أبي العباس العزّفي السبتي (ت-613هـ)، وابنه أبو القاسم كان أول من استحدثها في المغرب[4].

وعليه بدأ الموحدون يحتفلون بالمولد النبوي الشريف في أواخر عهدهم، إلى جانب الاحتفالات الدينية، فعرف بعض علماء المغرب الإسلامي خلال رحلاتهم إلى المشرق

---

[1]- ابتسام مرعي خلف الله ، العلاقات بين الخلافة الموحدية و المشرق الإسلامي 524-936هـ/1130-1529م ،دار المعارف ، 1405هـ -1985م ، ص 248-251.

[2]-ابتسام مرعي خلف الله ، نفس المرجع السابق ، ص 250.

[3]-نفسه، ص 248.

[4]-نفسه، ص 249 .

وعليه فقد لعب التواجد المغربي بالمشرق دورا فعالا وعاد بعدة فوائد ثقافية وحضارية وسياسية، فاندماجهم في هذه المجتمعات وفّر لهم المكانة المرّموقة و السّمعة الحسنة.

4- دور الحضارة الاسلامية في النهضة الأوروبية :

شهدت العصور الوسطى وجود عالمين متباينين من الناحية الحضارية، العالم الإسلامي بغربه وشرقه و العالم الأوربي، فالأول بلغ قمة التطور و التقدم في كافة المجالات، بينما العالم الأوربي كان يعيش في التخلف والانحطاط والجّور والظلم، وقد ساهت في هذا الوضع جهات مختلفة في المجتمعات الأوروبية، فمثلا عدم تلاحم أباطرة أوروبا، بسبب اختلافهم العرقي واللغوي ،خلق جوا مشّحونا يسوده التوتر، وانتشرت الحروب بينهم ،أدى ذلك إلى تدّهور الجانب الاقتصادي، فتفشى الفقر والحرمان، لاسيما بعد احتكار ملكية الأراضي من طرف فئة من الناس[1] يدعون برجال الإقطاع، هؤلاء سخروا الطبقة الفقيرة في خدمة أراضيهم مقابل أجور زهيدة[2] وبسبب هذا الوضع المزري انشرت مختلف الأمراض المعدية كالطاعون والتفويت والكوليرا وغيرها من الأوبئة، بالإضافة إلى انتشار الجهل و الأمية واعتبر رجال الدين الكنيسة من الطبقة الثانية بعد طبقة النبلاء و الأشراف، واحتكروا مجال الفكر والعلم فاللغة اللاتينية كانت حكرا عليهم فقط، أما الشعوب الأوروبية خاصة الطبقة الكادحة فبقيت تتخبط في قفص الظلمات لعدة قرون، بعيدة كل البعد عن وسائل التعليم والتثقيف وعن كل حقوقها الاجتماعية، ملزمة فقط بتطبيق متطلبات الطبقتين الأولى و الثانية، كما كانت مجبرة على دفع الضريبة التي لا تتماشى مع إمكانياتها المادية.

---

[1] -يمثلون الأمراء ،والملوك والسادة وحتى حاشياتهم.
[2] -كانوا يسمون بالأقنان أو رفيق الأرض.

فكل هذه المظاهر الاستبدادية التي عانت منها الشعوب الأوربية، خلقت في نفوسهم الرغبة في التغيير والتطلع إلى مستوى معيشي مستقر، مثلما هو الحال بالعالم الإسلامي.

أسباب وعوامل ازدهار النهضة بدول غربي أوروبا:

رغم اكتساح طابع الجهل والتخلف بالعالم الأوروبي، إلا انه شهدت بعض مناطقه كشبه الجزيرة الإيبرية (الأندلس) وصقلية [1] قفزة نوعية وتغيرا جذريا في مسار حياتهم فبعد انتشار الدين الإسلامي عن طريق الفتوحات الإسلامية، التي خاضتها شعوب المغرب الإسلامي، هذه الأخيرة نقلت للمنطقتين الايبرية وصقلية دستور (القرآن الكريم) عرفوا من خلاله نظاما ثابتا، وتغيرا في أحوالهم السياسية والاجتماعية وحتى الاقتصادية كما شهدوا انتعاشا حضاريا واستقرارا أمنيا، مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى ، التي كانت في أمسّ الحاجة إلى الحرية والتحرر من قيود الكنيسة وتزمّتها الشديد، واحتكارها لوسائل العلم والمعرفة.

وبعد صمت طويل، بدأت الشعوب الأوربية تتطلع إلى حياة علمية فكرية مليئة بالتحرر فأول معابر النهضة التي اتصلوا بها هي الأندلس وصقلية، اللتان لعبتا دورا بارزا في إحياء الحياة من جديد بالمناطق الأوربية، لاسيما مدن الحذاء الايطالي (بيزا ، جنوة) وفرنسا وغرب أوروبا ووسطها.

كما شجع بعض الملوك، مثل الملك النورماني " روجي الأول"، رعياه على احتكاكهم بالمسلمين من أجل الانتفاع منهم في كافة المجالات خاصة الجانب العلمي.

لم يكتف الأوروبيون بالاحتكاك المعرفي داخل أوروبا، بل تطلعوا إلى نقل معارف أخرى في شتّى الميادين من المناطق الإسلامية الأخرى، فكانت مدن المغرب الإسلامي

---

[1]- صقلية لا تبعد عن الحذاء الايطالي ، فتحها الاغالبة أوائل القرن (3هـ-9م / 212هـ-817م) بقيت تحت الحكم الاغلبي حوالي قرنين ونصف حتى عام 1060م ،وبعدما أضحت من أهم المدن في التطور ة التحضر ،آلت إلى الاحتلال النورماني في مطلع النصف الثاني من القرن 11م ،ينظر: يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،ص 12.

من بين الأماكن التي شهدت تدفق أوروبي على سواحلها، وتمثلت أول علاقة مغربية أوروبية في علاقة اقتصادية، أي عن طريق التبادلات التجارية، فهذا الرباط عزّز أكثر من الوجود الأوروبي، كما استفاد بكثير من الامتيازات ومنحت المدن الإيطالية والمدن الفرنسية عدة امتيازات، كإرساء سفنهم بمرساها ،ناهيك عن التخفيضات الجمركية التي ذكرناها آنـــفا.

- دور بجاية الاقتصادي :

فبجاية باعتبارها أهم مدن المغرب الإسلامي، نشطت ببجاية الحركة التجارية وتزايدت أكثر خلال القرنين (6-7 هـــ/12-13م)، و كانت بين الجنويين والبنادقة والبيزيين منافسة شديدة وحادة حول سوق بجاية، التي تحتوي على خيرات متنوعة بتنوع مناخها فكما جاء في الفصل الثاني، إن بجاية صدرت مختلف المنتوجات إلى أوربا كالقشور لدّباغة الجلود التي لم تعرفها أوروبا إلا عن طريق تعاملها مع بجاية بالإضافة إلى الورق و الزجاج و الشب و الزيت و الرصاص و الزبيب و الخزف، منه ما كان يصنع به الأواني الخزفية المذهبة التي وجدت بعضها بجنوة و مرسيليا [1]، ناهيك عن الشمع الذي أنار بيوت أوروبا بعد ظلمة طويلة، وبقيت بجاية تتعاطى التجارة مع مراسي حوض غربي البحر الأبيض المتوسط فترة طويلة، فلقد توسع اقتصاد المدن الأوروبية الواقعة جنوب وغرب أوربا، كما نشطت أسواقها وانتظمت وزادت نموا أكثر، إلى جانب هذا كله أهدت بجاية للتجار الأوروبيين أهم عامل أخـــلاقـــي المتمثل في الصدق والأمانة [2] في المعاملات التجارية، هذا العامـــل شجع الأوربيين على التعامل أكثر مع

---

[1] -قد ذكر نص مؤرخ في سنة 1312م ، بعد عملية إحصاء وقعت بصيدلة بمدينة جنوة الايطالية ،عثر على أوعية من الخزف المذهب، كما وجدت حفريات بفرنسا ،أواني صنعت ببجاية ،عثر عليها بمرسيليا ،ينظر:مولاي بلحميسي " دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين و الحفصيين " ،محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ،بجاية 1-12م ربيع الأول 1394هـــ-25 مارس إلى 15 أبريل 1974- المجلد الثاني ،منشورات وزارة التعليم العالي و الشؤون الدينية ،ص 570.

[2] - محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي ،بجاية 1-12م ربيع الأول 1394هـــ-25 مارس إلى 15 أبريل 1974- المجلد الثاني ،منشورات وزارة التعليم العالي و الشؤون الدينية ،ص 572.

لؤلؤة المـــغرب (بجاية) التي لم تنحصر عطاءاتها في المجال الاقتصادي فقط، بل شملت ميادين كثيرة أخرى، فالحضارة البجائية استطاعت أن تؤثر على الأوروبيين وتفتح لهم أبواب المعارف العلمية و الأدبية و الفنية في جوّ يسوده التسامح و الحرية، ترتب عنها الإقبال الكبير للأوروبيين من أجل تشبع من المنابع العلمية المنتشرة ببجاية.

دور بجاية العلمي:

لعبت بجاية أدوارا هامة في النهضة العلمية بأوربا، فكانت مصدر إشعاع علمي وأدبي أثرت في الأوربيين النازحين إليها، الذين استيقظوا بعد نوم طويل، كان كابوسه ظلم الكنيسة وقسوتها، فهذا التزمّت دفعهم كما ذكرنا سلفا إلى الدراسة والتفتّح على مظاهر الحضارة الإسلامية، هذه الأخيرة حفّزتهم على الإنكباب أكثر في الحياة الفكرية فاهتموا بتعلم اللغة العربية، فانتشرت بذلك حركة الترجمة التي مست كل المجالات العلمية والفكرية.

ومن بين العلوم التي ترجموها نذكر الفلسفة فقبل نهاية القرن 12م- 6هـــ/ كانت الكتب الفلسفية مترجمة إلى اللآتنية[1] ومن بين رواد الفلسفة ببجاية المفكر والفيلسوف أبي حامد الصغير الحسن بن محمد المسيلي، الذي شبهه البجائيون بحامد الغزالي، فكان متطلع ومجتهد في الفلسفة والمنطق والحكمة، أخذ منه العديد من الأوربيين[2].

بحيث يؤكد "روجي باكون" (1215م-1292م)، بأن الفلسفة مستمدة كلها من العربية[3] وعليه كان لابد من كل مثقف أوربي تعلم اللغة العربية، التي أصبحت أساسية له في ترجمة كل العلوم إلى اللغة اللآتنية، فإلى جانب الفلسفة ترجموا كتب الطب والصيدلة وبذلك استفادوا من التجربة العربية عامة وبجاية خاصة، فبعدما عاش

---

[1]- محمد إبراهيم الصبحي، الحضارة العربية، وأثرها في أوربا، مكتبة الوعي العربي، ص 246.

[2]- يحي بوعزيز، مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية، وفي نهضة إيطاليا وجنوب غرب أوربا، مجلة الإسلامية، السنة 05، العدد 01، 1993، ص 09.

[3]- يحي بوعزيز، من تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص 14.

الأوربيون حياة الاضطهاد على يد أمرائهم ورجال الدين بالكنيسة هذا السلم الكهونتي الذي منعهم وحرم عليهم التطبيب والمعالجة بحجة أن المرض في نظرهم يعتبر عقاب ربّاني يسلطه لتخفيف آلامهم، ومن كان يخالف الأوامر الكهانوتية يعاقب[1] فبقي الأوربيون في هذا السبات حتى عرفوا جرم ما يرتكبونه في حق أنفسهم، خاصة أن الحضارة العربية الإسلامية إزدهر بها هذا المجال العلمي المهم، فكان لبجاية إسهام كبير في إمداد أوربا بعلم الطب، من أبرز أطباء بجاية الطبيب ابن أندارس البجائي نزيل بجاية سنة (650هـ/660هـ)، امتهن مهنة الطب والتوليد، وأحمد الغبريني أحد تلاميذته. ولإبن أندارس عدة دراسات منها نظم الأدوية[2]، وبالتالي الصيدلة التي نقلها الأوربيون إلى بلادهم عن ابن أندارس البجائي، ولا ننسى الحكيم الدّلسي عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام الذي ولد بدلّس و استقر ببجاية، كان عالما فقيها أديبا وطبيبا ومعالجا في نفس الوقت[3].

كما لقنت بجاية أوربا علوما أخرى كالكمياء والمنطق والأدب والشعر والرياضيات التي تعتبر من أكثر العلوم التي استفاد منها الأوربيون، فكانت بجاية خلال القرون الوسطى لاسيما ما بين القرنيين (6-7هـ/12-13م)، عاصمة الرياضيات فنقلت منها مختلف المدن الأوروبية، خاصة جنوب أوربا وبالذات إيطاليا (بيزا، جنوة، صقلية بندقية...).

يعتبر علم الرياضيات والحساب من أهم العلوم التي طورها العرب بعد ما نقلوا قواعدها من الإغريق والهنود، لكنهم لم يبقوا عليها كما هي، بل محصّوها وعالجوها وأضافوا إليها العديد من المعلومات، كانت تفتقر إليها، كالهندسة العربية والأرقام العربية

---

[1]- محمد إبراهيم الصبحي، نفس المرجع، ص 229.
[2]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص ص، 101، 102.
[3]- أحمد الغبريني، المرجع السابق، ص 294.

والكسور والصفر الدائري[1] ونظام الأعداد العشرية، كما أنهم أزالوا كل الأنظمة العددية الرومانية، واستعملوا مكانه نظام الترقيم، بل أكثر من هذا استطاعوا أن يصنفوا أرقام الأحاد والعشرات والمئات والآلاف في خانات عديدة، كما أهدى علماء المغرب الإسلامي بصفة عامة إلى أوربا والعالم كله، الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب الإسلامي والأندلس، بالإضافة إلى استعمالهم لدائرة الصفر، فنقلها الأوربيون عنهم بعدما عايشوا ثورة في تاريخ الرياضيات ببجاية[2].

ومن أعلام أوربا الذين نقلوا الرياضيات من بجاية إلى أوربا، الرياضي البيزي (ليوناردو فيبوناتشي) ولد سنة 1180م بمدينة بيزا الإيطالية، لم يتلقى دروسه في أديرة القساوسة، وهذا بسبب ترّعرعه في بيئة مختلفة عن بيئة أجداده، حيث إلتحق بوالده "بوناتشيو"، الذي كان طبيبا ورئيس البعثة التجارية البيزية ببجاية، فحرص "بوناتشيو" أن يعلم ابنه عند كبار علماء بجاية، وبالفعل أوكله إلى الشيخ سيدي علي البجائي، الذي لقن "ليوناردو" كل العلوم وبالأخص مادة الحساب والرياضيات، التي نبغ فيها أكثر من غيرها من العلوم، وما زاده اتّساعا وإطّلاعا أكثر بهذا العلم، هو اندماجه مع التجار خلال تربصه لدى إدارة الديوانية، في مرسى بجاية، فأخذ منهم الطريقة السريعة كما كان يستخدم في حساباته الأعداد الهندية والغبارية والصفر الدائري. ولم يكتفي "ليوناردو" بما تعلمه ببجاية، بل رحل إلى معظم عواصم المغرب الإسلامي وصقلية وبلاد الشام ومصر لينتهل بالمناهج والطرق العلمية الجديدة في علم الرياضيات، وبعد تشبعه بمختلف المعارف، اعتكف على التأليف التي انتشرت بأروبا فقد كان الأوربيون يعتمدون على أرقام الرومانية، التي يصعب أجراء عمليات الحساب بها، كما لم يكن يعرف الصفر

---

[1]– يحي بوعزيز، مركز بجاية الحضاري، نفس المقال، ص 10.

[2]– مولود قاسم نايت بلقاسم، بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العروبة، مجلة ثقافية، العدد 89، السنة 15، ذو الحجة محرم، سبتمبر، أكتوبر، 1405هـ/1406هـ، 1985م، ص 39.

الدائري والكسور التي نقلها إليهم تلميذ بجاية، الذي أضحى من أبرّز علماء الرياضيات بأوربا في القرون الوسطى[1] بفضل علماء وأساتذة من بجاية المسلمة العربية.

وبهذا زودت بجاية أوربا شتى العلوم، كما عرفتها بصناعات مختلفة، كما سبق لنا ذكرها، وبوسائل وابتكارات متطورة وبمزروعات ومنتوجات، لم يكن للأوربيين عهد بها وليس هذا فقط، بل أخذوا منها بعض من عادات أهاليها، الذين عرّفوا عنهم حسّن الضيافة والكرم والجود والتسامح والتعايش والبساطة في المعاملة، هذا الوضع أهل الأوربيين وشجعهم أكثر في إستغلال الظروف فنقلوا كل ما كان ينقصهم في مختلف المجالات. وكان لبجاية الفضل إنعاش الحياة الأوربية ودفعها إلى النهضة والحضارة.

5-أصناف العلوم ومشاهير العلماء:

ازدهرت بجاية بعلمائها وصنّاع ثقافتها ومنشط حركتها الفكرية، هؤلاء الذين ألمّوا بكل العلوم النقلية والعقلية، فكان من الصعب علينا تصنيفهم حسب تخصصاتهم، فمثلا نجد عالم المنطق له معرفة بالفقه والعقيدة، كما نجد المتضلع في الفنون الأدبية له مشاركة في التاريخ والعالم الرياضي له تدخّل في مسائل الطب والعلوم التجريبية...وغيرهم كثيرون.

فحاولنا أن نحيط بذكر بعض العلماء في القرن 6هـ - 12م/ و7هـ - 13م، منهم أنجبتهم بجاية والبعض وفد إليها وعلى رأسهم الأندلسيون، وذكرنا سلفا سبب نزوحهم إلى بجاية، شهدت بذلك حركة علمية جياشة قادها متصوفوها وفقهاءها وأدباءها ومفكروها فبجاية لوحدها كان بها خلال القرن 6هـ - 12م، حسب قول الفقيه "أبي علي حسن بن علي بن محمد المسيلي" 90 مفتيا[2]، هؤلاء وغيرهم كان لهم دور فعال في إثراء الحضارة الإسلامية أوّلا و النّهضة الأوربية ثانيا، ومن بين هذه الجمهرة المباركة نذكر علماء في:

---

[1]- ينظر: مولود قاسم نايت بلقاسم، بجاية الإسلام لقنت أوربا الرياضيات بلغة العروبة، نفس المقال، ص ، 39-40 يحي بوعزيز، مركز بجاية، نفس المقال، ص ص ، 10-11.

[2]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 69.

أ- **العلوم الدينية:**

- **أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي:** شيخ المشايخ، فقيه من فقهاء الآخرة، كما سماه أهالي بجاية، التي استوطنها مدة طويلة وهو من أهل إشبيلية بالأندلس، عرف بورّعه الشديد والزهد الكبير، لقد ساهم هذا الصوفي في نشر التصوف بالمغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/12م، ومثلما عرف عن أهل بجاية عند الكثير من الناس حبهم للغرباء والفقراء ومحافظتهم في معاملاتهم[1]، فالشيخ أبو مدين شعيب نال حبّ أهالي بجاية وإلتفافهم حوله، ممّا أزعج كبار الدولة الموحدية، الذين وشوا به إلى الخليفة يعقوب، الذي أمر بإحضاره إلى مراكش، وأستدعي الإمام الفقيه الشيخ أبو مدين إلى الحضرة وفي طريقه إليها، إشتد به المرض، فنزل بموضع يسمى العباد[2]، حيث وافته المنية سنة 595هـ، وبذلك شرفت تلمسان باحتضان مثواه[3].
- **أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي:** أحد الإخوان المقربين للشيخ أبي مدين شعيب، وهو من كبار مشايخ بجاية، فقيه عالم، سمي بأبب حامد الصغير، تضلّع في العلوم الدينية والعقلية، له عدة تآليف منها: كتاب "التذكرة في أصول علوم الدين"، وكتاب "النبراس في الرّد على منكر القياس"، وله كتاب في علم التذكير، سلك فيه مسلك أبي حامد الغزالي، في كتاب الأحياء وهو كتاب سماه:" التفكر فيها تشتمل عليه السور

---

[1]- أبي العباس أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أفيت عرف ببابا التنبكتي، كتاب نيل الإبتهاج بتطريز الديباج ط1 مصر، 1351هـ/ص 303.

[2]- العباد: قرية تبعد كيلومترين شرقي تلمسان، بها ضريح المتصوف الشيخ أبي مدين شعيب، ينظر: محمد بن عبد الله التنسي، نفس المصدر السابق، ص 286.

[3]- ينظر: أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 55-61، أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 108-114. أبي زكريا يحي بن خلدون، بغية الرواد، ج1، ص ص، 125-126، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 127-129، أبي العباس أحمد الخطيب، الشهير بابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير، وعز الحقير، صححه محمد الفاسي، أودلف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص ص، 11، 12، ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1982، ص ص، 297، 298.

والآيات من المبادئ والغايات" وليّ القضاء ببجاية كما جلس يدرّس بجامعها الأعظم تخرج على يده العديد من الطلبة، توفى الفقيه ببجاية، ودفن بباب أمسيون[1]، أحد أبوابها.

- أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين الأزدي الإشبيلي:

فقيه، محدث، وإمام زاهد و قاضي، ولد سنة 516هـ، استقر ببجاية 550هـ، التي وليّ القضاء بها، كما وليّ خطبة صلاة الجمعة بجامعها الأعظم، ودرّس فيه وهو يعتبر أحد المقربين للشيخ أبي مدين شعيب، الذي كان يُشهد له بالورع، وأنه زين العلماء وعماد الروّاة رأس المحدثين، له عدة تآليف فهو صاحب الأحكام الكبرى والصغرى، في الحديث، والعاقبة في التذكير، وكتاب التهجّد وكتاب الجمع بين الصحيحين وغيرها من الكتب الدينية ودواوين شعرية توفي الشيخ الإمام ببجاية سنة 582هـ، قبره موجود خارج باب المرسى[2].

- أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي: الشيخ ناصر الدين من فقهاء وأعلام القرن 7هـ/13م ولد سنة 631هـ، بملالة قرب بجاية، عارف وعالم بأصول الفقه وعلم المنطق واللغة ويعتبر أول من نقل مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه إلى المغرب بعد رحلته إلى المشرق، كان يعتمد على الشرح أكثر من النقل، فكان يمحّص ويبحث في كلّ الأمور الدّينية، توفي الفقيه الصوفي سنة 731هـ[3].

---

[1]- ينظر: أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص ص، 66-72، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ص ، 104-107، ابن القنفد القسنطيني، أنس الفقيد وعز الحقير، ص ص، 34-35، بدر الدين القرافي، (ت 946هـ،1533م)، توشيح الديباج وحلية الإبتهاج، تحقيق وتقديم: أحمد التيوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ- 1983م، ص ص، 88-90.

[2]- ينظر: أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص ص، 73، 75، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري، المدني المالكي، الديباج، المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مصر، 1351هـ، ص ص، 175 176، ابن قنفد القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، ص 34، ابن قنفد القسنطيني، الوفيات، ص ص، 293، 294.

[3]- ينظر: أحمد الغبريني: عنوان الدراية، ص ص، 200، 201، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص ص، 344، 345 أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، 1991، ص 445 446.

ب- الأدبـــاء:

- **يوسف بن محمد بن يوسف أبو الفضل (ابن النحوي):** إضافة إلى تصوّفه ودرايته الكبيرة بالدين، كان له ميول أدبي لهذا سمي بابن النّحوي، لتضلعه في النحو والأدب واللغة، هو من قلعة بني حماد أصله من توزر بالمغرب الأقصى، تعلّم على يد الكثير من المشايخ كأبي الحسين اللّخمي، وأبي الفضل أبو عبد الله (ابن رمامة) وغيرهم من أهل العلم وبعد رحلته العلمية، عاد إلى القلعة التي توفي بها سنة 513هـ - 1119م عن عمر يناهز الثّمانين سنة [1].

- **أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني:** أديب وعالم في اللغة، استقر في بعض نواحي بجاية، له عدة تآليف في الأدب والشعر والموشحات وفي علم الفرائض وبشعره كان يضرب الناس المثل، ويُذكر أن شعره جُمع في ديوان. أنجب أبو الطاهر عمارة أَدَبِيَةً، كان لها وزن في المجال الأدبي والخط العربي بالمغرب الإسلامي عامة وبجاية خاصة، وهي عائشة ابنة أبي الطاهر عمّارة، الفصيحة (لبيبة) صاحبة الخط الحسن، حيث كان والدها عندما ينتهي من كل قطعة شعر، تخصها هي بخطها الجميل إنها كانت خطاطة ماهرة وبالإضافة إلى براعتها في الخط كانت لها طرائف أخبار ومستحسنات أشعار [2].

- **أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عميرة المخزومي:** عالم جليل أعلم العلماء زمانه وتاج أدبائه، استوطن بجاية تزود من علمائها كما درّس فيها، له معرفة بالفقه وأصوله والحديث، لكنه أوسع معرفة بالأدب، له عدة مؤلفات في هذا المجال، فلقد

---

[1]- ينظر: أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي، عرف بابن الزيات، 617هـ، التشوف إلى رجال التصوف واخبار ابي العباس السبتي، أحمد التوفيق، ط1، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1404هـ، 1984م، ص ص 95-98.

[2]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 76، 80.

كان الناس ينتقون كتبه أكثر من غيره لبراعته الأدبية، توفي الفقيه الأديب سنة 658هـ[1].

- **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الأدريسي المعروف بالجزائري:** فقيه وكاتب أديب، برع في نظم الشعر والنّثر، كما كان كثير التجنيس وهو نوع من أنواع البديع، أنتج موسوعة متنوعة من كل فن أدبي[2].

جـ- الفلسفة:

- **أبو عبد الله محمد بن علي الطائي محي الدين بن عربي:** فقيه حافظ متصوف والمعروف بابن سراقة، ويلقب بمحي الدين ويعرف بابن العربي، له تآليف في التصوف خاصة التصوف الفلسفي، أصله من مرسيه ولد سنة 560هـ، أخذ عن الكثير من المشايخ من بينهم أبي محمد عبد الحق الإشبيلي الأزدي، قام برحلة علمية في المشرق والمغرب مر ببجاية. ترك الشيخ محي الدين عدة مؤلفات منها: كتاب الإسراء إلى المقام الأسري وكتاب مواقع النّجوم وكتاب الفتوحات الملكية، توفي الفقيه الصوفي الفيلسوف بدمشق سنة 640هـ، ودفن بجبل قاسيون[3].

- **أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم الحرالي التبجيبي:** عالم فقيه، ولد بمراكش، تعلم على يد الكثير من علماء المغرب والمشرق خلال رحلته للحج، شمل علمه أصول الدين والفقه وفي المعقولات وعلم الطبيعيات والألهيات، كما كان أعلم الناس آنذاك بالمنطق وعلم الكلام، الذي صنّفه في كتاب سماه – بالمعقولات الأول- ، بالإضافة إلى كتب دينية ككتاب – مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزّل- وغيرها من التآليف الأدبية وفي علم التصوف قدم إلى بجاية التي غير بها كثيرا من المنكرات، فلقد إستقام

---

[1]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص ص ، 250، 253.
[2]- نفسه، ص 287.
[3]- نفسه، ص 158- 160.

على يده الكثير من أهالي بجاية خاصة السكرى منهم، توفي العالم الجليل فجأة ببلاد الشام سنة 637هـ[1].

- **أبو العباس أحمد بن خالد من أهل مالقة:** قرأ بالأندلس، ثم انتقل إلى مراكش، كان فقيها، وله مساهمة في الطب والحكمة وفي الطبيعيات والألهيات، لكنه برع أكثر في المنطق، استوطن بجاية التي جلس يقرأ بها، عرف بدقّة النّظر وحسن الفكر، توفي العالم الجليل ببجاية سنة 660هـ ودفن بحومة بابا أمسيون[2].

- **أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سيعين المرسي:** ولد بالأندلس له معرفة واسعة في الحكمة والبلاغة والفصاحة، له مساهمة في العلوم العقلية والنقلية والشعرية أيضا، نزل بجاية مدة درّس بها، فالتف الناس من حوله وانتفعوا بعلمه توفي سنة 669هـ[3].

د- التاريخ:

- **أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي القلعي:** مؤرخ أصله من قرية حمزة من أحوار قلعة بني حماد، قرأ ببجاية حيث التقى فيها بأبي مدين شعيب سنة 581هـ، كما قرأ عنه واكب بن حماد الصنهاجي تاريخ الدولة الموحّدية، ألف كتابا في التاريخ عنوانه: "ملوك بني عبيد وسيرتهم" توفي العالم الكبير ما بين سنتين 628هـ- 640هـ[4].

- **أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر القضاعي الشهير بابن الأبار:** ولد الفقيه المحدث، المقرئ، النحوي، الأديب المؤرخ، سنة 575هـ أصله من بلنسية، درس بالأندلس، كان قدومه منها إلى إفريقية

1- ينظر: أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص ص، 145-156، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 201.
2- أحمد الغبريني عنوان الدراية، ص ص، 101،100.
3- نفسه، ص 209، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 184.
4- ينظر: أحمد الغبريني: عنوان الدراية، ص 192، ابن قنفد القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقير، ص 92، وابن قفند القسنطيني: الوفيات، ص 311.

بصفة رسول والي بلنسية الذي استنجد بالأمير الحفصي أبي زكريا ليخلصه من العدو الإسباني، استقر ابن الأبار ببجاية مدة وخلال تواجده بها درّس وألف العديد من التآليف في الحديث والأدب والتاريخ ومن أهم كتبه أو ما تبقى منها كتاب: " الحلة السيراء" و"التكملة لكتاب الصلة وبعض تآليف الشعرية"، توفي الفقيه المؤرخ بتونس سنة 658هـ[1].

- **أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحي بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري الإشبيلي:** فقيه محدث و حافظ أديب و تاريخي، أصله من الأندلس ولد ببلدة أبدة سنة 600هـ درس بإشبيلية، كان مهتما بالجانب التاريخي إذ جمع أسماء الأعلام والرجال وتاريخهم ووفاتهم. استوطن بجاية التي ولّي الخطبة بجامعها الأعظم كغيره ممّن سبقوه توفي سنة 659هـ[2].

- **أبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي:** فقيه محدث و مؤرخ، حفظ تاريخ الطبري[3]، كما حفظ تفسير الثعالبي، نزل ببجاية واجتمع بعلمائها و استفاد منهم وتعلّم أيضا بالجامع الأعظم وقد إعتنى بالرّواية والبحث عن الأخبار ومعرفة الرجال من أهل العصر ومن المتقدمين، وله معرفة في الكتب المصنفة، بقي مدة طويلة ببجاية ثم انتقل إلى حاضرة إفريقية تونس التي توفي بها[4].

و- الرياضيات:

- **أبو عبد الله بن أبي بكر المنصور القلعي:** عالم في الفرائض والحساب، تولى القضاء ببجاية في عهد ولاية ابن الحجاج وكان مقربا للوالي بل كان كاتبه ومستشاره ولم يكن له

---

[1]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 257.
[2]- نفسه: ص 246.
[3]- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت 1417 هـ - 1997 م.
[4]- ينظر: أحمد الغبريني: عنوان الدراية، ص ص، 301-302، بابا التنبكتي: نيل الإبتهاج، ص 64.

قرين في (علم الحساب والرياضيات) حتى أصبحت بجاية عاصمة الرياضيات، توفي هذا العالم ببجاية سنة 660هـ[1].

هـ- الطب:

كانت مهنة الطب قليلة ببجاية، حسب قول الغبريني:" ...أشد الصنائع ضياعا..."[2]. كان من هؤلاء القلة أبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن أندراس[3] والذي كان له مساهمة فعالة في تنشيط هذه المهنة ببجاية وخارج بجاية ونذكر كذلك أبا العباس أحمد بن خالد المالقي، والمتضلع أيضا في العلوم الدينية وعلم المنطق. وكانت له تدخلات طبية. ونذكر أيضا أبا عبد الله محمد بن يحي بن عبد السلام التدلسي أو الدّلسي الذي ذكرناه آنفا بالإضافة إلى فقهه وأدبه، كانت له مساهمة في علم الطب.

ما لمسناه خلال دراستنا لبعض العلماء والذين لا يمكن ذكرهم كلهم لأن العالم في هذه الفترة وما سبقها لم يكن مختصا في علم واحد بل ملما بكل العلوم وهذا يدل على المستوى العالي الذي كانت تزخر به الأمة الإسلامية آنذاك والتي بنا صرحها الحضاري بهؤلاء العلماء الذين شاركوا بمجهوداتهم العلمية والثقافية في رفع المستوى الفكري عاليا فكانت بجاية لؤلؤة المغرب ومنارة إشعاعه.

- أبرز علماء بجاية في المشرق العربي:

ومن بين علماء بجاية الذين ارتحلوا إلى المشرق العربي. وعملوا على بناء معالم الحضارة بها وإثرائها نذكر منهم:

- **محمد ابن إبراهيم أبو عبد الله البجائي:** الذي اشتهر بالأصولي، رحل إلى المشرق العربي وبالضبط إلى مصر، تعلّم فيها على يد مجموعة من العلماء، من المنطقيين والمحدثين، بقي بمصر وقتا ثم رجع إلى بجاية دون، وولّي القضاء بها عدة مرات ثم

---

[1]- ينظر: أحمد الغبريني: عنوان الدراية، ص 227، بابا التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 230.
[2]- نفسه: ص 229.
[3]- ذكرنا ترجمته، في عناويننا السابقة.

توجه إلى الأندلس، وبعدها إلى مراكش حيث تولى القضاء بها، ولقد وصف بالثبات والصبر على المحن، كفقدانه لبصره في أواخر حياته، ولقد اعتنى بإصلاح "المستصفى" لأبي حامد الغزالي[1]،توفي ببجاية سنة 612هـ.

- **ومن أهل هذا العهد، العالم الزواوي يحي أبو الحسن:** الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين مدّة(564هـ/628هـ) ونبغ في النحو والأدب وعلوم اللغة والشعر كان كثير الحفظ، ارتحل إلى المشرق وانتهى به المقام في دمشق، درّس بمدارسها حيث التحق به جمع غفير من الطلاب، لينتفعوا من علمه ذاع صيته بدمشق، فاستدعاه حاكم مصر (الملك الكامل) إلى القاهرة، ليستفيد النّاس من علمه وحنكته السياسية والإجتماعية، وبالفعل غادر دمشق متوجها إلى القاهرة، هنالك جلس يدّرس في الجامع الأزهر واعتكف على الكتابة والتأليف إلى غاية وفاته بها[2].

-**علي بن أبي نصر أبو الحسن البجائي:** فقيه مالكي، عالم جليل أمين، يتصف بالورع والزهد، رحل إلى الأندلس ثم المشرق العربي، انتفع من علماء مكة ودمشق والقدس والإسكندرية، ويذكر أنه حج حوالي عشر مرات، وهذا لكثرة تردده على الحجاز من أجل التعلم[3]، توفي سنة 652هـ.

- **البجائي عبد الوهاب بن يوسف:** برع في علم المنطق وهو فقيه أصولي، ولد ببجاية وتعلم بها ثم رحل إلى المشرق ليتزود أكثر بالعلم والمعرفة، كما انتفع به غيره وهو الذي كشف عن أسرار الخونجي الذي وضع في علم المنطق توفي سنة 680هـ[4].

---

[1]- عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، ص 239 - 240.
[2]- أحمد الغبريني، عنوان الدراية، ص 133.
[3]- عمار هلال، نفس المرجع السابق، ص 242.
[4]- نفسه: ص، 243.

خاتمة

الخاتمة:

بعدما تطرقنا لدراسة بجاية تاريخيا وحضاريا ما بين القرنيين6-7هـ/12-13م، يتضح لنا أنها ساهمت بشكل كبير في بناء المغرب الإسلامي سياسيا وإقتصاديا وثقافيا.

فعلى الصعيد السياسي استطاعت بجاية رغم تغير وضعها من حقبة لأخرى أن تتأقلم مع كل التيارات الداخلية والخارجية، فكانت في كل مرحلة تتجاوز الاضطرابات والفتن، كما شهدت ولايتها مجموعة من الولاة اختلفوا في تسيير شؤونها، فمنهم من كان حريصا على شؤون رعاياها ومنهم من أهملها وغفل عنها، خاصة بعد الغزو الميورقي لها في نهاية القرن 6هـ/12م، وتدخل العنصر الأندلسي في ولايتها نهاية القرن 7هـ/13م، لكن هذا لا يمنع أن هذين القرنيين كانا بمثابة فترة ذهبية من تاريخ بجاية، حيث حافظت فيه على استمراريتها بموجب عدة عوامل أهمها، الموقع الجغرافي المهم والبارز، الذي استقطب إليها أنظار الموحدين خلال القرن 6هـ/12م، و هؤلاء الذين أولوها اهتماما كبيرا وحرصوا في بداية القرن 6هـ/12م بإحاطتها بأهل الشورى والعلم من أمراء الدولة ومشايخها.

ونفس الوضع شهدته في العهد الحفصي والدليل هو مكانتها لدا البلاط الحفصي، فكانت تعتبر العاصمة الثانية بعد تونس.

نخلص إذا أن موقعها الجغرافي وتغير وضعها السياسي من فترة لأخرى كان من الأسباب الرئيسية لتفتحها على المجال الخارجي، وبالتالي ازدهارها في شتى المجالات الإقتصادية والثقافية.

إقتصاديا توسع نشاطها أكثر برا وبحرا خاصة الطرق البحرية، فالموحدون اهتموا أكثر بالملاحة والتجارة البحرية أكثر من الطرق البرية، رغم استحداثهم لعدة منافذ برية طريق الواصل بين بجاية وورقلة وغيرها، والسبب يرجع كما ذكرنا سابقا إلى التعاملات الكثيرة لبجاية مع دول المشرق العربي ودول جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط.

وعلى الرغم من الحياة التقشفية المانعة للترف والبذخ والتبذير في العهد الموحدي، إلا أن بجاية اكتفت معيشيا وعمرانيا، بل تعدت إلى تصدير منتوجاتها إلى الخارج، كما عرفت بفضل مرساها صناعات ومنتوجات جديدة، ناهيك عن توافد تجار الدول المجاورة إليها وإقامتهم بها، والذين بدورهم تأثروا بمعالم الحضارة والنهضة العلمية والفكرية، فكانت بهذا أول بوادر اتصال لهؤلاء وعلى رأسهم التجار أوربيون، الذين كانوا متعطشين للتحرر الثقافي والفكري. فبجاية التي كانت بها مراكز التعليم منتشرة كالمساجد والكتاتيب والزوايا، فقد شهدت حركة علمية كبيرة ناهيك عن وجود جمهرة كبيرة من العلماء المتضلعين في شتى العلوم والمعارف، فمثلا العالم في هذا العصر كان ملّما بجميع العلوم، فالعارف بالدين تجده متضلعا في الأدب وعلم الكلام واللغة والتاريخ والجغرافية، وسبب ذلك هو توجههم الصوفي الذي انتشر أكثر بالعهود الوسطى.

فبجاية كان جلّ علمائها متصوفين وعرفت بذلك انتشارا واسعا للتصوف . وبهذا حضيت بحياة علمية وفكرية و عقدية ساهم في بنائها أبناؤها أو الوافدون إليها خاصة المهاجرون الأندلسيون والمشارقة.

لكن ما لمسناه خلال دراستنا لهذا المجال الحيوي هو غياب دور المرأة العلمي في بجاية، إلا إذا ما استثنينا الأديبة عائشة بنت عمارة التي لعبت دورا هاما في تنشيط الحركة العلمية ببجاية.

وبفضل الرصيد الثقافي لبجاية استطاعت أن تساهم من خلاله في إثراء النهضة بأوربا، التي ترجع جذور نهضتها الأولى إلى القرن 6هـ/12م، وهذا بعد اكتشاف الأوربيين للعالم الإسلامي الذي منحهم الحرية والتحرر من اللآهوت المسيحي، فالمياه الثقافية العربية روت حقول ثقافتهم، فبجاية بالإضافة إلى تزويد بيوت أوربا بالشمع الذي أنارها بعد ظلمات طويلة، لقنتها أيضا علم الحساب والرياضيات، كما أهدتها الأعداد من بينها الصفر، فكانت بذلك بجاية عاصمة الرياضيات بالنسبة للأوربيين، حيث استقطبت العديد من الطلبة من بينهم ليوناردو فيبوناتشي الذي زود أوربا بتآليفه العلمية بفضل علماء بجاية خاصة والوطن العربي عامة.

وما نستنتجه ورغم غزارة العلم ببجاية، هو أننا نلمس نقصا هائلا في المؤلفات، لا سيما في العلوم العقلية كالطب والرياضيات والفلك، وهذا ربما يرجع إلى قلة هذه الوظائف حسب ما ذكرناه سابقا على لسان الغبريني، لكن هذا لا يمنع من ازدهار الإنتاج الأدبي من الشعر والنثر وغيرها وإنتاج ديني وجغرافي وتاريخي، الذي لا تزال بعض مصادره تحتاج إلى استنطاق ودراسة قصد التعريف أكثر برواد العلم ببجاية، وجوانب الحياة التي كانت سائدة في تلك الفترة.

وصفوة القول أن كل العوامل التي مسّت بجاية داخليا أو خارجيا، ساهمت بطريقة مباشرة في خلق نشاط متميز، ميزها عن باقي حواضر المغرب الإسلامي، يكفي أنها حافظت على تألقها العلمي والفكري والإقتصادي قرابة خمسة قرون مضت كيف لا و هي لؤلؤة المغرب الإسلامي.

الملاحق

- رسالة سلطانية كتبها، الكاتب أبا عبد الله محمد المعروف بابن دفرير، عن الأمير الحمادي يحي بن العزيز، وقد فر من بجاية، عندما أحس بدنو جيش الموحدي فكاتب أمراء العرب يستنجدهم.

" كتابنا ونحن نحمد الله على ما ساء وسر، رضي بالقسم وتسليما للقدر وتعويلا، على جزائه، الذي يجزي به من شكر ونصلي على النبي محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر وبعد: فإنه لما أراد الله أن يقع ما وقع بقبح آثار من خان في دولتنا وضيع استنفر أهل مولاتنا، الشيطان، وأغزى من اصطفيناه وأنعمنا عليه الكفران، فأتوا من حيث لا يحذرون، ورموا من حيث لا ينصرون فكنا في الاستعانة بهم، والتعويل عليهم، كمن يستشفي من داء بداء ويفو من صل خبيث إلى حيه صماء حتى بغت مكرهم، وأعجل من التلاقي أمرهم وردوبال أمرهم إليهم، فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة، ومدنا إلى مظنة الآمنة وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة، ونستفز من كنا نراه للمهم عدة وأنتم، في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر ويثنى عليه الناصر "[1]

[1]- رشيد مصطفاوي: الحركة الأدبية في بجاية بني حماد، مجلة الأصالة، العدد 19، ص 277.

- رسالة الفصول وفيها بعض نصائح الخليفة عبد المؤمن بن علي لأهل بجاية:

من الرسالة المعروفة برسالة: الفصول أنشأها الكاتب أبو جعفر بن عطية عن إذن الخليفة عبد المؤمن إلى أهل بجاية، يوصيهم بإقامة الحدود، وحفظ الشرائع وإظهار الحق بلزوم الواجبات.

وابتدئ بأول مباني الإسلام، فآخذ الناس بعلم التوحيد الذي هو أساس الدين ومبناه، وروحه ومعناه، والقاعدة التي يثبت على دون تأصيلها، والرابطة التي لا يقبل دين دون تحصيلها، فلا سبب لمن لم يتمسك بسببه، وقد بنى وجوب العلم بالفرائض على وجوب العلم به، وهو إثبات الواحد، ونفي ما سواه بتقييدات في الشريعة، لا يكتفي معها إطلاق اللفظ دون تحقيق معناه، وذلك أن يعلم على وجهه وحده ليكون عن علم لا عن ضده، وعن يقين لا عن شك، وعن إخلاص لا عن شرك، وأن يقوله مع العمل لا ينكل، ويؤمر الذين يفهمون اللسان الغربي، ويتكلمون به أن يقرؤوا التوحيد، بذلك اللسان من أوله إلى آخر القول في المعجزات، ويحفظوه ويفهموه ويلازموا قراءته ويتعهدوه، ويؤمر طلبة الحضر ومن في معناهم بقراءة العقائد وحفظها وتعاهدها على سبيل التفهم والتبيين والتنبه والتبصر ويلزم العامة، ومن في الديار بقراءة القصيدة التي أولها: أعلم أرشدنا الله وإياك وحفظها وتفهمها واشمل في الالزام والرجال والنساء، والأحرار والعبيد، وكل من توجه عليه التكليف، إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد، فمن لا يعرف المرسل لم يصدق بالمرسل والرسالة، ومن حصل على مثل هذه الحالة، فقد تعتبر في أذيال الضلالة، فإن لم يبادر إلى التخلص منها، والانفصال عنها، وجب عليه حكم الكتاب، ولا عفت في إراقة دمه لا محالة وآخذ وبإقامة الصلاة التي هي كتاب الموقوف على المؤمنين، والحكم المثبوت على كل من آمن بهذا الدين، والناهية عن الفحشاء والمنكر على ما ورد في الكتاب المبين، ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، فهو ممحور في ديوان المؤمنين ومن صنيعها فهو لما سواها أضيع من الوظائف والقوانين وتاركها ميت في عداد لا حياء لخشاشة، تقضي عند القضاء أمد الأمهال والإملاء، فخذوا من قبلكم بإقامة الصلاة على ما شرعت

وأدائها بسحب ما فرضت، وخذوا العوام ومن الديار بحفظ أم القرآن وسورة معها، وما تيسر من القرآن لتتم صلاتهم، ويكمل عملهم، ومن أضاع الصلاة وأهملها.

ولما يبادر إلى أداء ما فرض عليه منها فأجله لحين متاح، وقتله بحكم الكتاب والسنة واجب. وخذوا إيتاء الزكاة، وبالكشف عن ما نعيها، وتشخيص ممسكيها أو النزر اليسير منها، فالزكاة حق المال، والجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة، فهو لا حق بمن ثبت تركه للصلاة، فمن منع كمن منع الشرع كله.

وآمر بالنظر في الربوب وتمييزها، والهجوم على بائعها ومدمني شربها ومستعمليها فيراق مسكرها، ويقطع منكرها، وليعهد إلى من عمل المسكر الحرام عامدا وشربه مدمنا عليه ومعاهدا، ولم ترعه الحدود، ولم تقيده القيود، ولم يعظه الإعتبار، ولم ينفعه الأذكار فيمحى أثره، ويحذف خبره، فالخمر أم الكبائر، وجماع الإثم، وكاشفه شمس العقل والبلاغة، على كل قبيح من الفعل، والفاتحة لكل مرتج من أبواب العصيان، وهي رجس من أعمال الشيطان.

آمر بالكشف عن التلصص والحرابة، والتولج في مكان من الريب، والغواية والاجتماع على اليسر الجاهلية من الملاهي على فنونها، وأنواعها، واختلاف آلاتها وما يتبعها من المناكر الناشئة عن أصل الجهالة، والأفعال المنافية للشريعة الصادرة عن أهل الذراعة والضلالة من الرجال المفسدين، والغواة المضلين، ومن النساء المفسدات المتفننات في طرق الغوايات فاكتشفوا عن هذه الأصناف، وأثيروهم عن مكامنهم، ونقبوا عليهم في مظانهم، فمن شهد عليه منهم بشهادة صحيحة سالمة من الهوى، والظنة باستصحاب حاله، تماديه على الإحضار في محل باطلة ومحالة، فبعكم كتاب الله جل اسمه، وتطاع سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم– وليكشف عن الدين يغرمون الناس، ما ليس قبلهم، ويأكلون بالباطل أموالهم، وعن أهل العناء والتقاعص، والإخلاء، والتقبط الدين إذا دعوا إلى الجهاد، ونودوا إلى الإصلاح، والرشاد، صموا عن الندا تلوموا في إجابة الدعاء، وألفوا المعاذير المعربة عن العناد، والناطقة عن الضمائر الممتلئة بسوء الإعتقاد، وعن القبائل القوية على يسر الجاهلية من الهرج فيما بينهم، والقتل والفساد والخيل والانقياد إلى سلطان الجهل والخروج عن قانون الحق، وضبط الأمر

وعن أهل النفاق والتدليس الناطقين بما لا يعملون، القائلين ما لا يفعلون فإذا تعينوا على التحقيق، فليمض عليهم حكم الله تعالى الذي أمر به فيهم[1].

---

[1]– حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ص 536.

- التواجد الهلالي والسليمي والمعقلي بالمغرب الإسلامي -

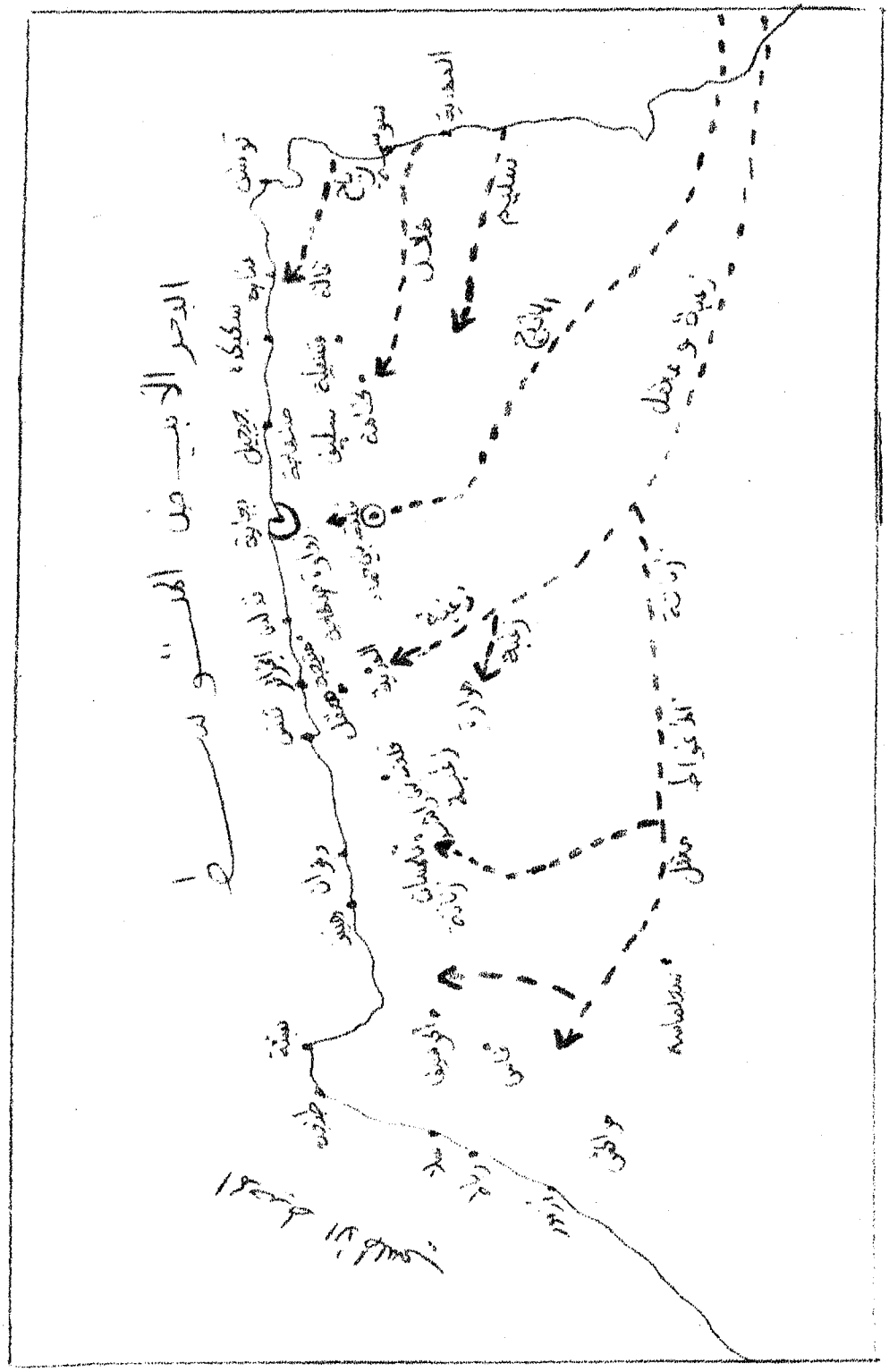

- محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 135، عبد الله شريط، محمد الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ص 73.

- حركة الموحدين في المغرب الإسلامي -

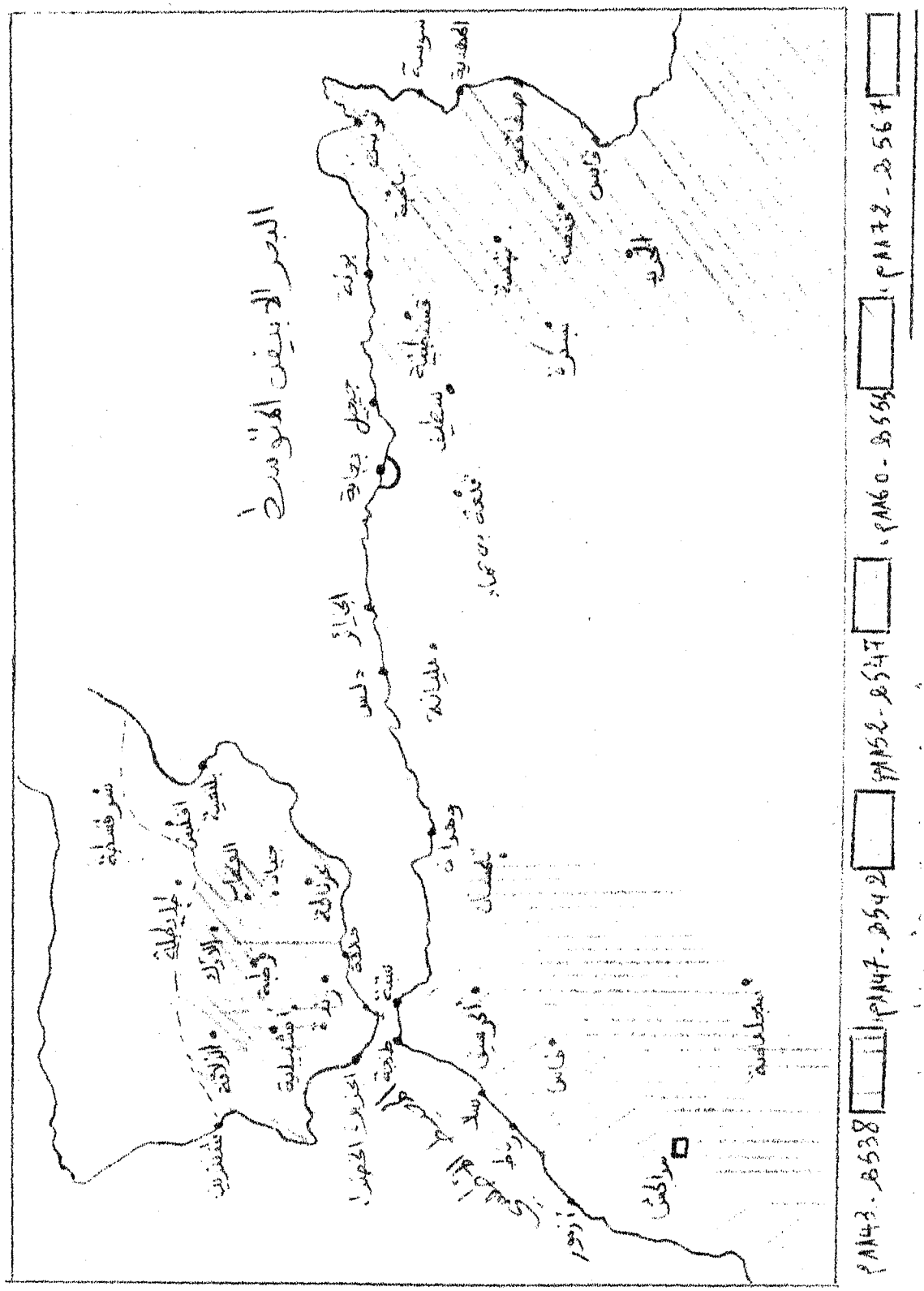

- روجي لي تورنو، حركة الموحدين في المغرب في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1982، ص 57.

- المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي

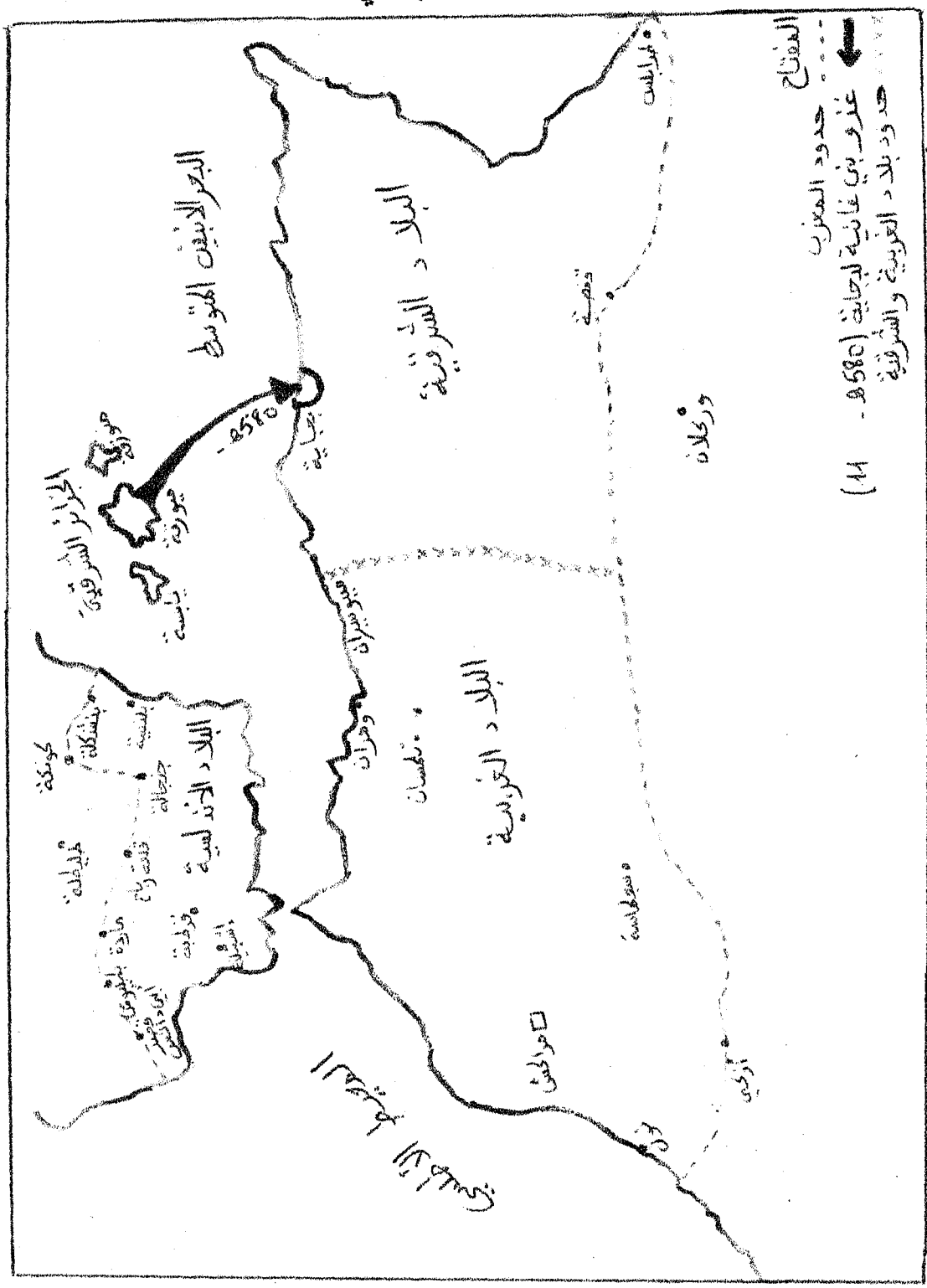

– عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، ص01.

- تفكك الدولة الموحدية الكبرى والدول التي قامت مكانها في المغرب والأندلس -

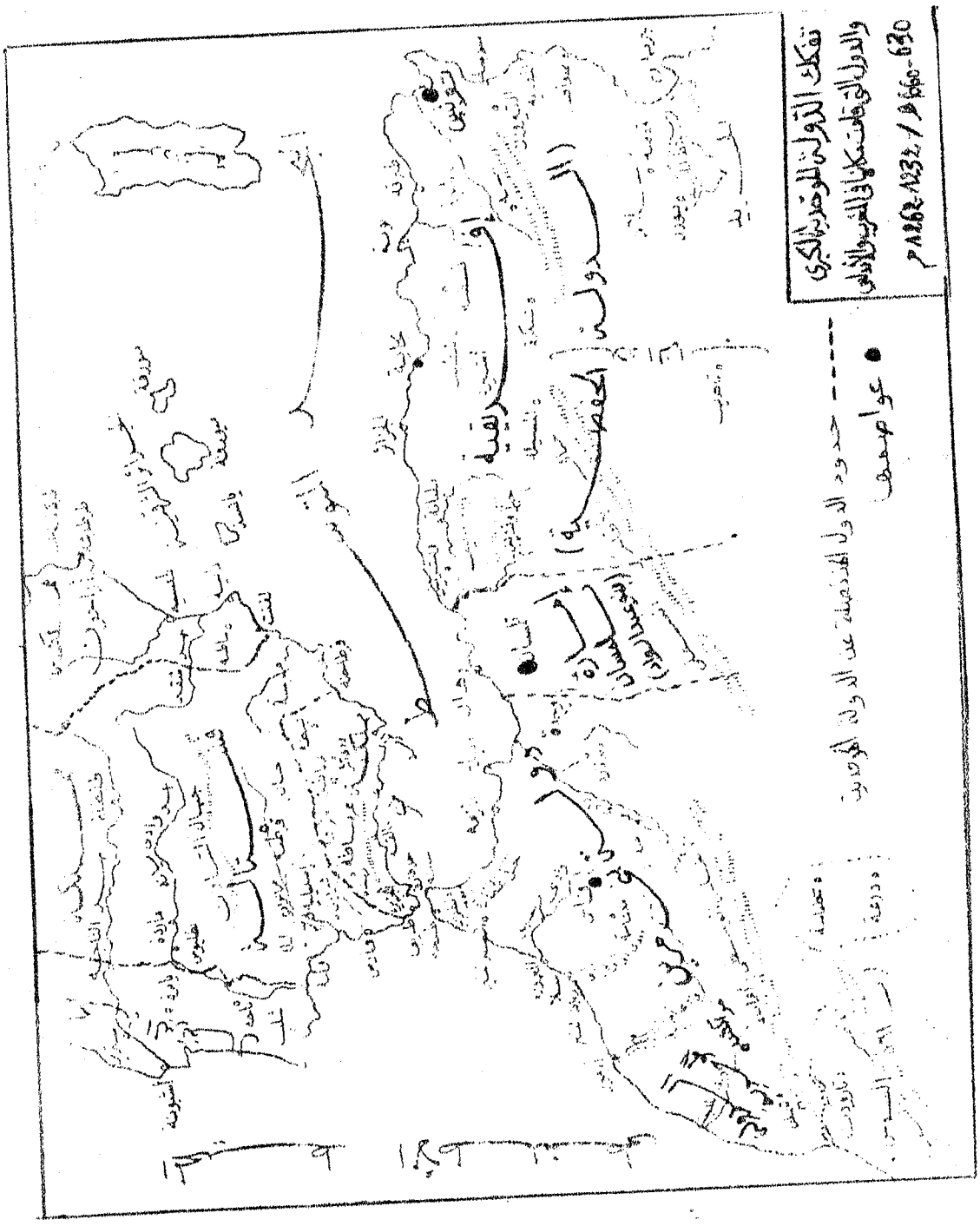

- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، قسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط2، الناشر مكتبة الخانجي، 1411هـ/1990م، القاهرة، ص 569.

- الطرق التجارية في النصف الأول من القرن السادس -

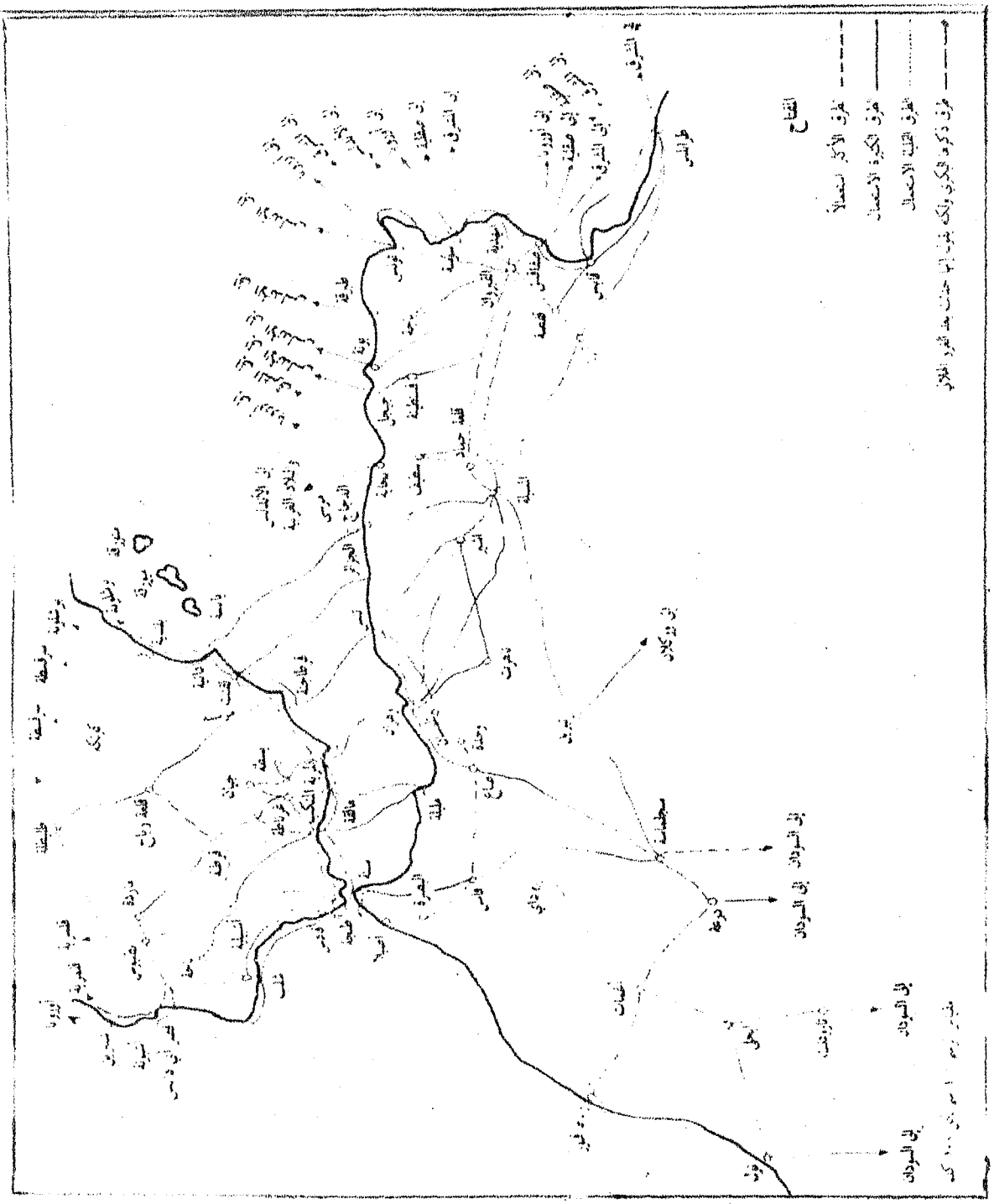

- عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 309.

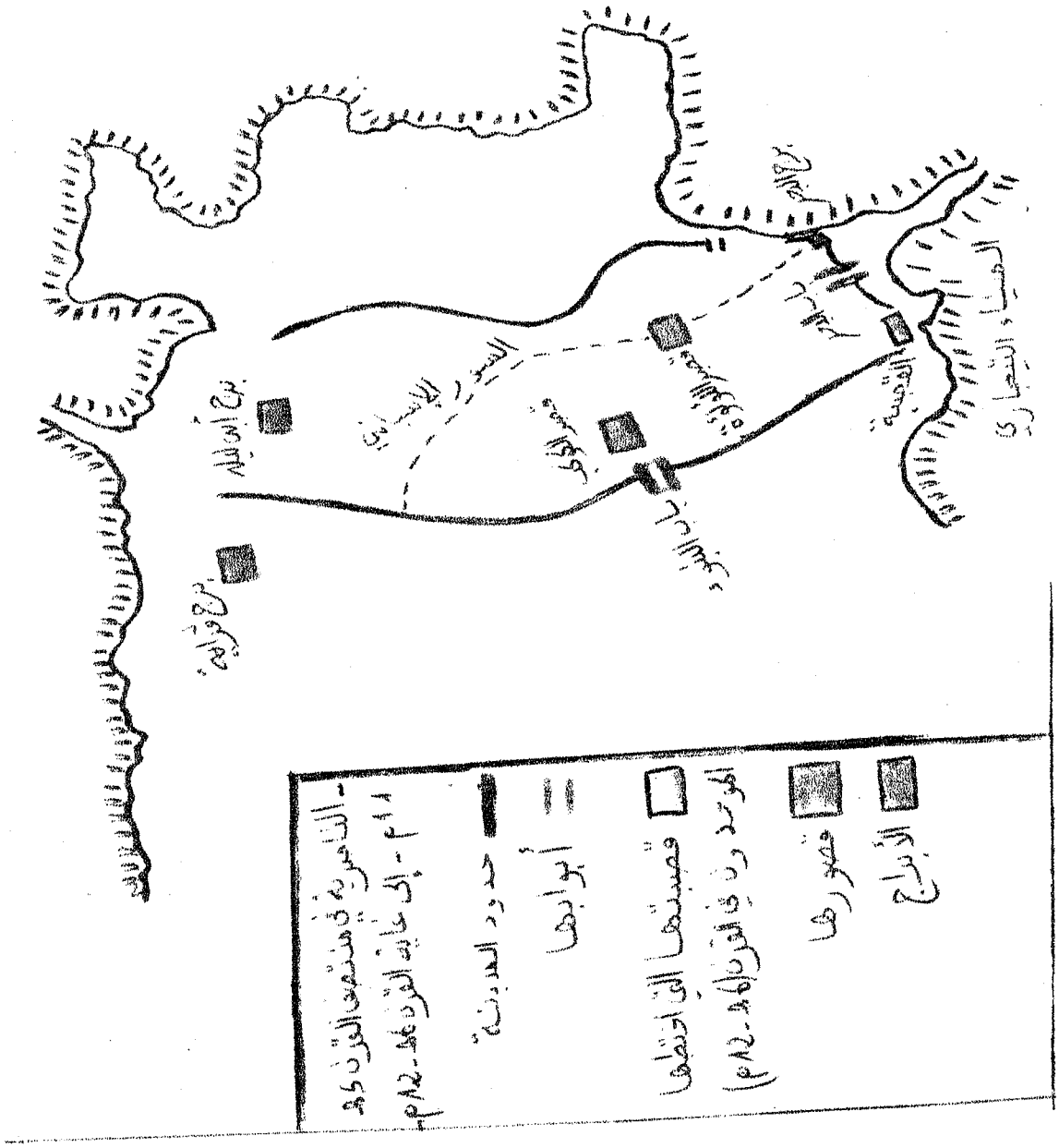

– محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، ص 155.

- السكة الموحدية ضربت ببجاية -

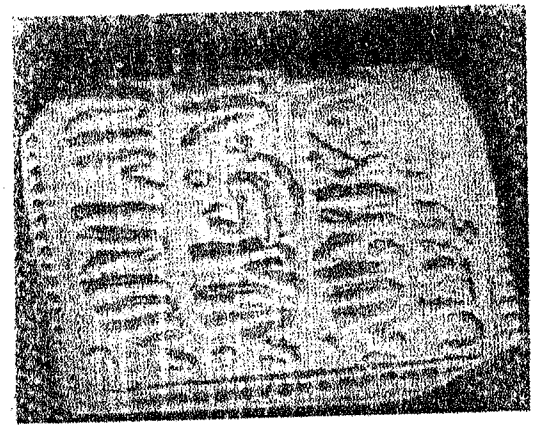

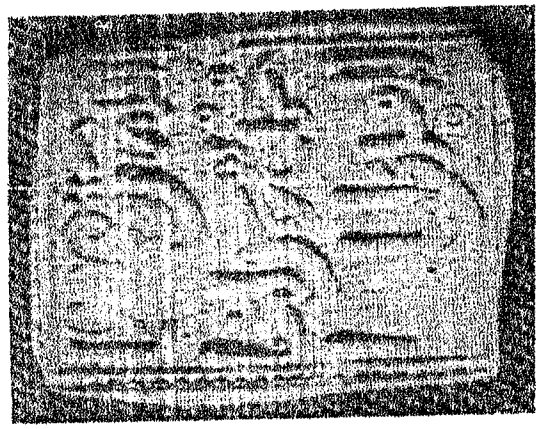

– الأخضر درياس، يمينة درياس، حنان دوبابي، جامع المسكوكات الغربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية، ج2، طبعة 2000، سومر، بئر خادم، الجزائر، ص 143.

- السكة الموحدية ضربت ببجاية -

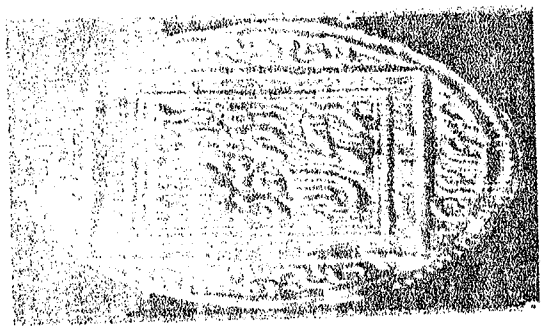

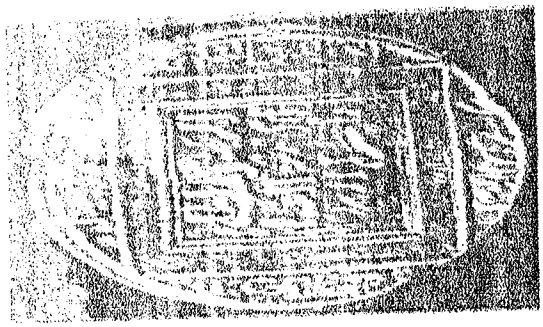

– الأخضر درياس وآخرون، نفس المرجع السابق، ص 139.

- باب الفوقا (باب البنود) -

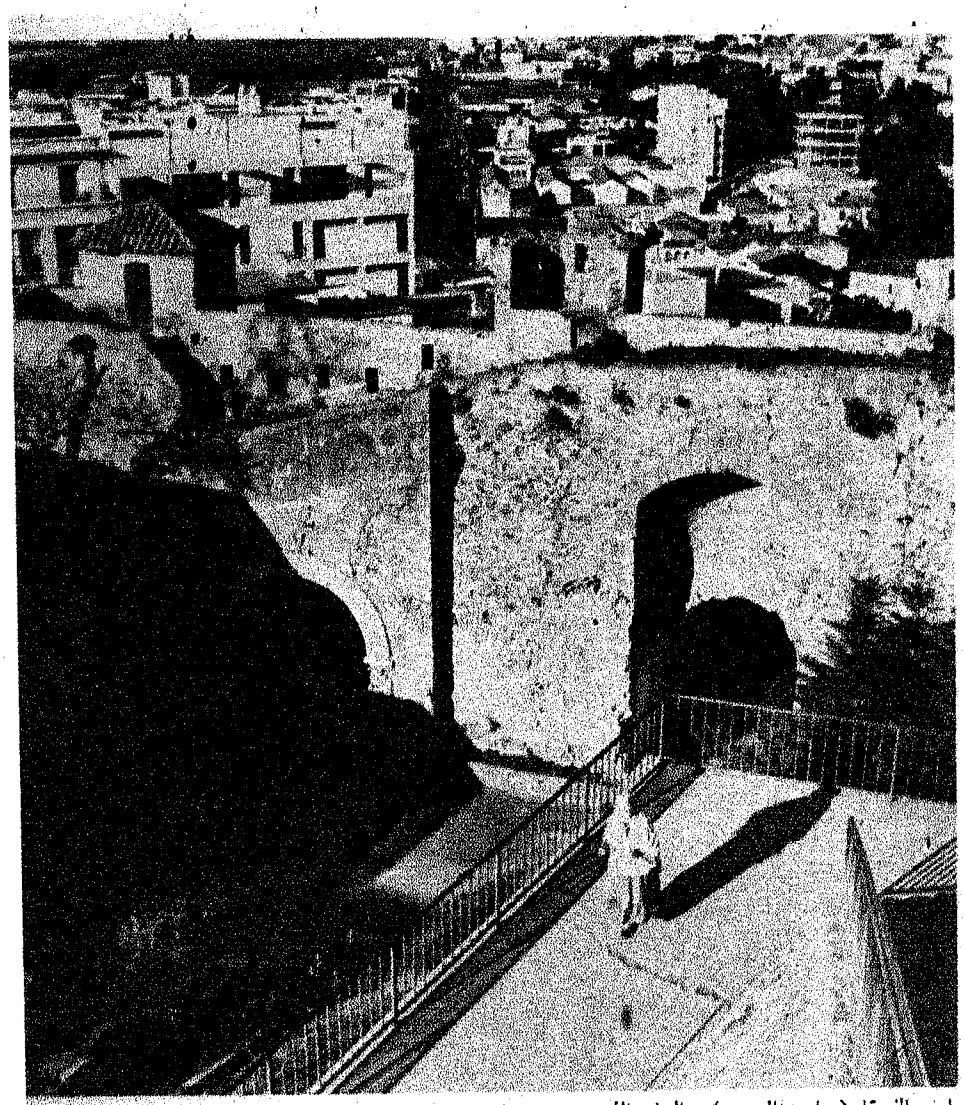

باب الفوقا (باب البنود) والبناء الذى يمنع رؤيته من جهة الصوامام .

بجاية سلسلة الـــــفن و الثـــقافة، وزارة الأعلام و الـــثقافة، ديسمبر 1975

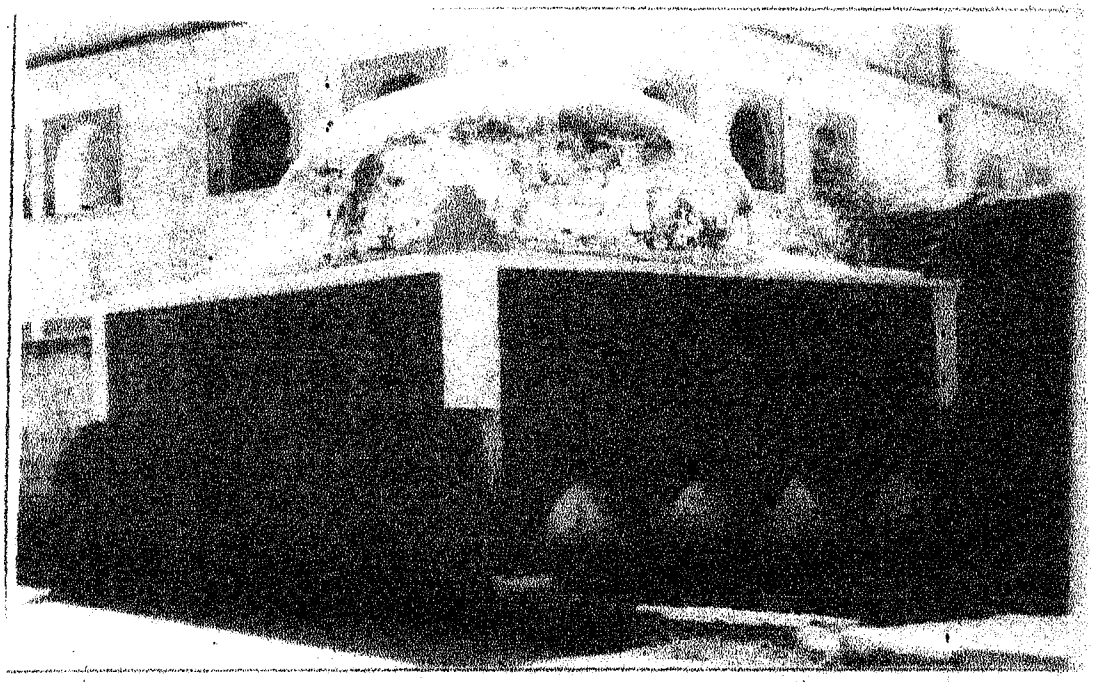

صورة 51: منظر عام لضريح سيدي توابي ببجاية

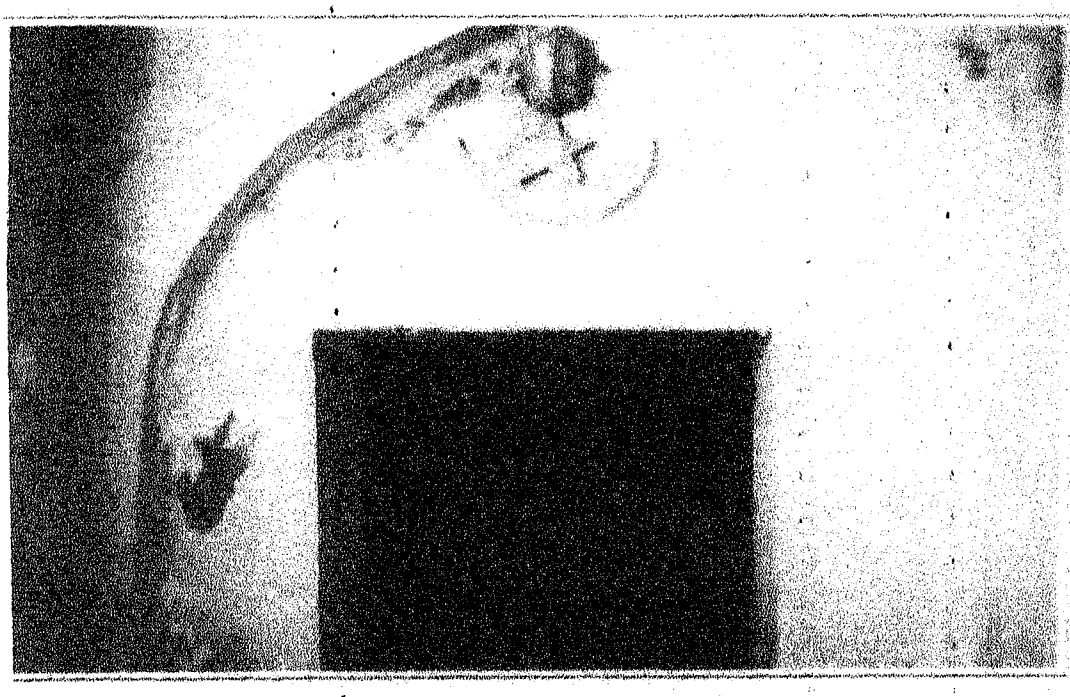

صورة 52: مدخل ضريح سيدي توابي ببجاية

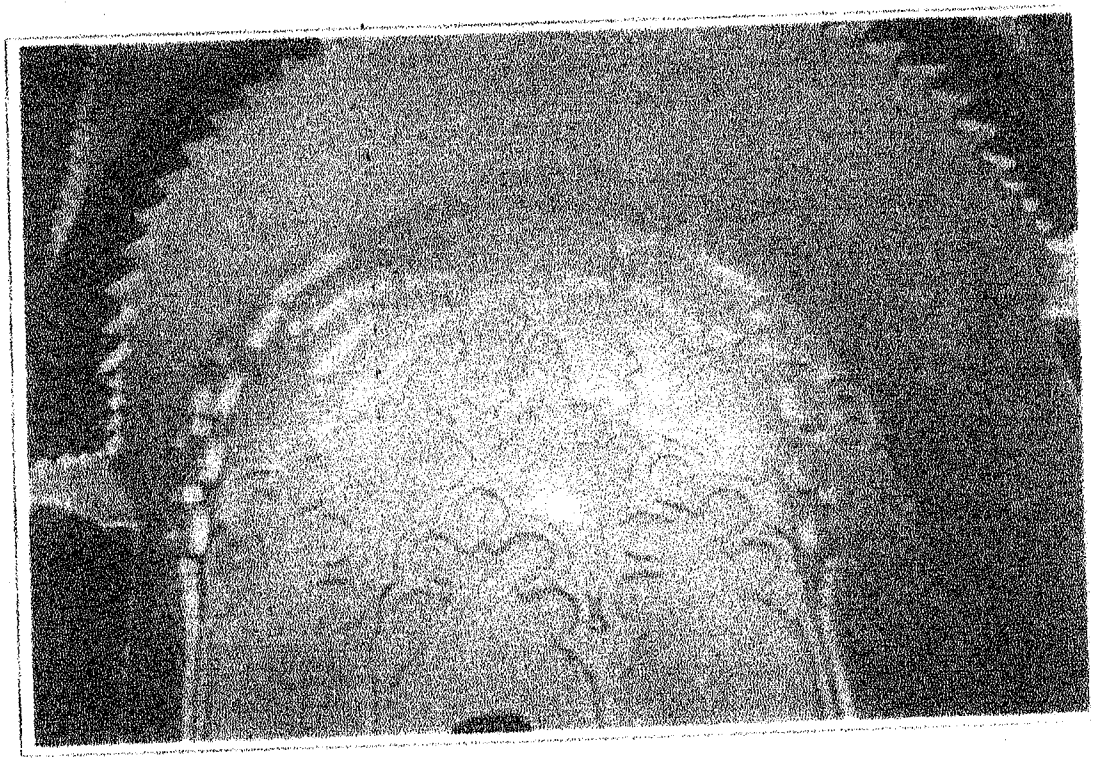

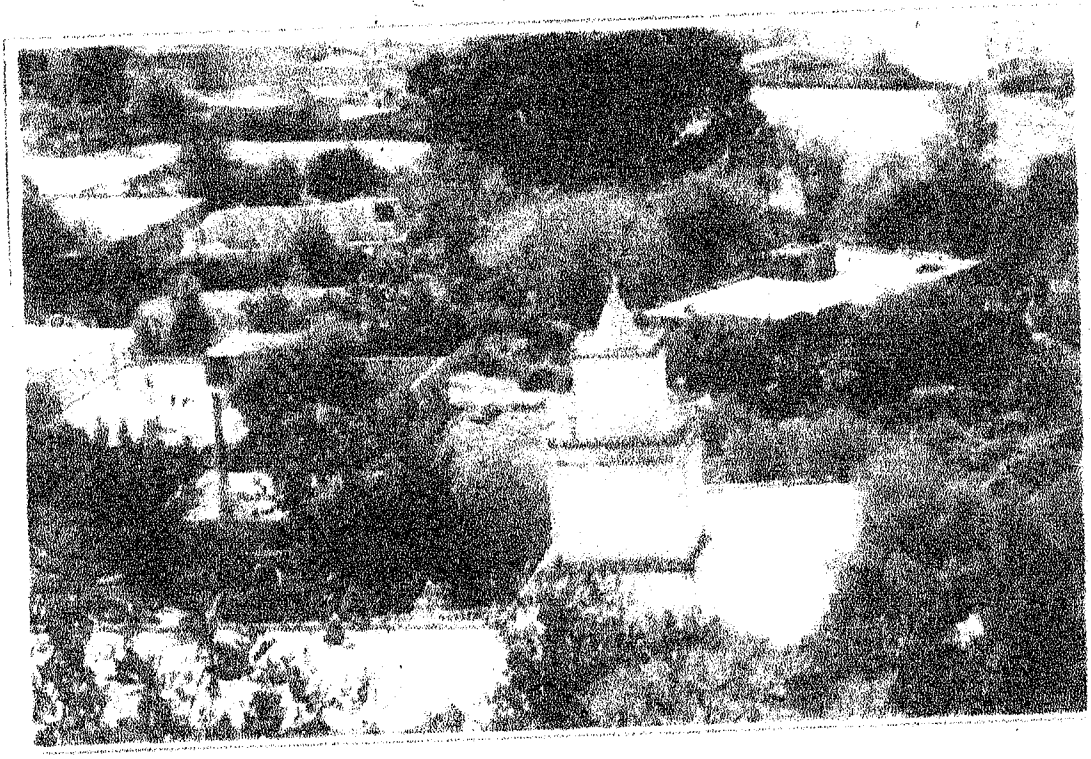

- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها(دراسة أثرية) رسالة الدكتورة، 2007-2008

صورة 28: مدرسة حفظ القرآن في الجهة الجنوبية من جامع سيدي عبد الحق

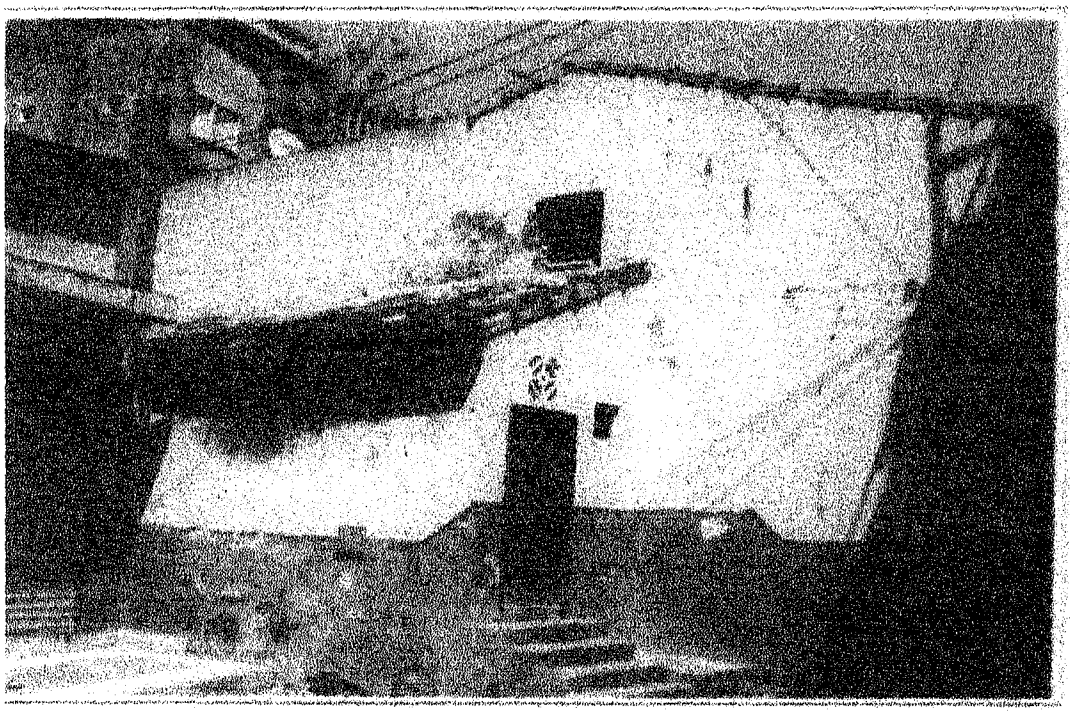

صورة 29: سقيفة جامع سيدي عبد الحق

- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها(دراسة أثرية) رسالة الدكتورة، 2007-2008

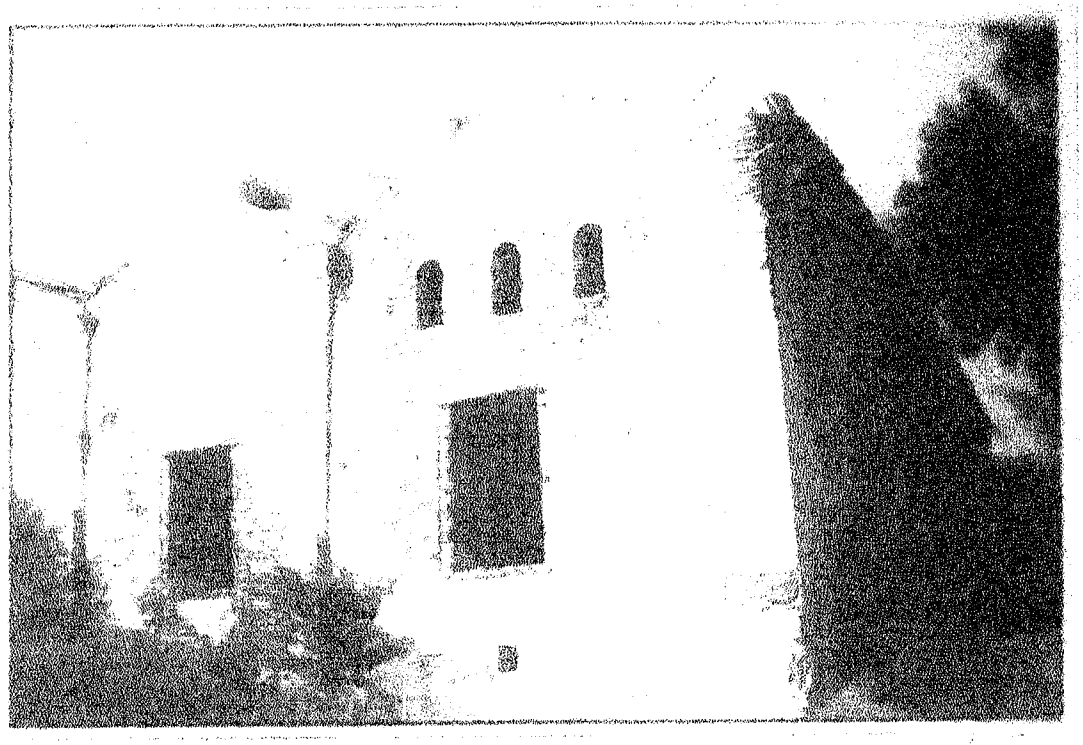

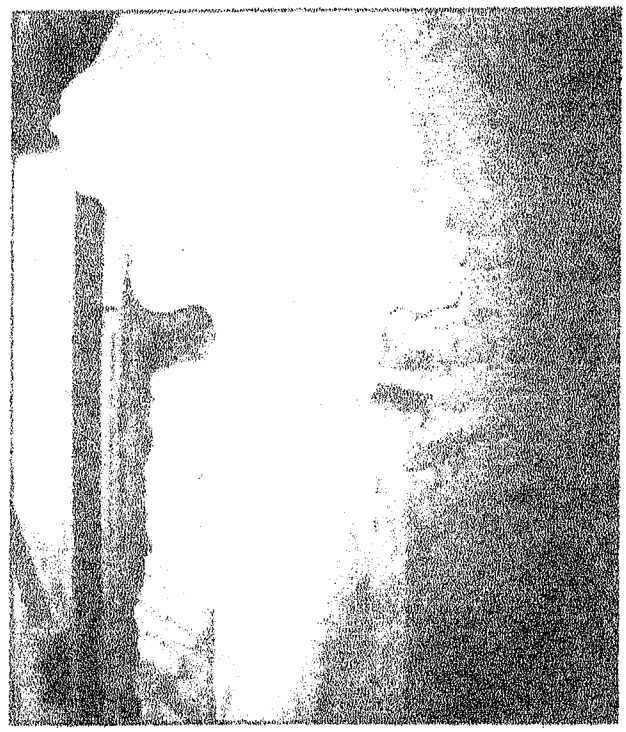

- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية و نواحيها(دراسة أثرية) رسالة الدكتورة، 2007-2008

قـائـمـة المصادر و المراجـع

قائمة المصادر والمراجع:

1- المصادر:

1- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)(ت 630ه)- الكامل في التاريخ- صححه محمد يوسف الدقاق، ط3، لبنان، دار الكتب العلمية، 1315هـ/1995م.

2- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، ت 560هـ/1066م)- نزهة المشتاق في إختراق الأفاق- ط١، بيروت، عالم الكتب، 1309هـ/1989م.

03- ابن بطوطة- رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار- ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العلمي، الدار الإفريقي العربية، 1991م.

4- البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن أيوب بن عمرات) (ت478هـ/1094م)- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك- دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ.

5- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي) - أخبار المهدي بن تومرت- تحقيق وتقديم وتعليق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1395هـ/1975م.

6- التلمساني (أحمد بن محمد المقري) - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: يوسف السبع محمد البقاعي، ط1، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1419هـ/ 1998م.

7- التنسي (محمد بن عبد الله)- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان- مقتطف من نظم الذر والعقيان في بيان شرف بني زيان، حققه وعلق عليه: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1305هـ/1985م.

8-التيجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) - رحلة التيجاني- قدمها: حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، بتونس، 1378هـ/1985م.

9- ابن حزم (الأندلسي بن محمد بن أحمد بن سعيد) - جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف بمصر، 1382هـ/ 1962م.

10- أبو حامد (بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي)- إحياء علوم الدين- راجعه محمد سعيد محمد، ط١، الناشر دار البيان العربي، 1462هـ/2005م.

11- الحفناوي (أبو القاسم محمد) - تعريف الخلف برجال السلف- تقديم: محمد رؤوف القاسمي الحسني، 1991م.

12- ابن الخطيب (لسان الدين السليماني) (ت 776هـ/1374م)- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، دار البيضاء1964م.

13- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن أبو زيد) (ت 808هـ/١٤٠٥م)- العبر وديوان المبتدأ والخبر- دار الكتاب اللبناني- بيروت، لبنان، 1981م.ج6،ج7.

14- (ـــــــــــ)- المقدمة- الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، فيفري، 1984م.ج2.

15- ابن خلدون (أبي زكرياء يحي) - بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد- تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/1980م.

16- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) (ت618هـ/1271م)- وفيات الأعيان وأنباء الزمان- تحقيق إحسان عباس- دار صادر بيروت، 1994م.

17- ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس- ط3، لبنان، دار المسيرة، 1993م.

18- أبن أبي زرع (أبو الحسن علي الفاسي)- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

19- الزركشي (ابن عبد الله محمد بن إبراهيم) - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية- المكتبة العتيقة، تونس، بدون تاريخ.

20- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي) (ت 617هـ/1229م) - التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق: أحمد التوفيق، ط1، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1404هـ/1983م.

21- ابن سعيد (المغربي علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك) (ت 685هـ/1682م)- كتاب الجغرافيا- حققه وضع مقدمته وعلق عليه إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

22- السلاوي (أحمد بن خالد الناصري)- الإستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى الدولتين المرابطية والموحدية- تحقيق وتعليق: أحمد الناصري، جعفر الناصري، الدار البيضاء، 1954م.

23- عبد الواحد المراكشي (أبو محمد بن علي التميمي) (ت 647هـ/1249م)- المعجب في تلخيص أخبار المغرب أثناء صلاح الدين الهواري، ط1، بيروت، المكتبة العصرية، 1426هـ/2006م.

24- الغبريني (أبو العباس أحمد) - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية- تحقيق رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

25- ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي ق 7- 8هـ- 14/13م)- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تلويت عبد القادر زمامة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/1989م.

26- ابن فرحون (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد)- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب- بهامشه: أبي العباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت، عرف ببابا التنبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ط1، مصر، 1351هـ.

27- القفي (بدر الدين) (ت 946هـ- 1533م)- توشيح الديباج وحيلة الإبتهاج- تحقيق وتقديم: أحمد الشتيوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1403هـ/1983م.

28- ابن القنفد القسنطيني (أبو العباس أحمد بن حسين بن علـــي بن الخـــطيب) (ت 810هـــ/1407م)- أنس الفقير وعز الحقير- صححه محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط.

29-(ـــــــــــــــــ)- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية- تقديم وتحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، بلا تاريخ.

30- (ـــــــــــــــــ)- الوفيات- تحقيق: عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1982م.

31- ليون الإفريقي (حسن بن محمد الوزان الفاسي المعرف) - وصف إفريقيا- ترجمة: محمـــد حـــجي، محمد الأخضـــر، ط٢، بيروت، لبنـــان، دار الغرب الإسلامي، 1983.

32- ابن عميرة (أبي المطرف أحمد المخزومي)- تاريخ ميورقة- تحقيق: محمد بن معمر، ط١، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1428هـــ/2007م.

33- مجهول (كاتب مراكشي من ق 6هـــ/12م)- كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار- (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)- نشر وتعليق: سعد عبد الحميد، الإسكندرية، 1958م.

34- مجهول (مؤلف أندلسي من ق 8هـــ/14م)- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه: سهيل زكار عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـــ/1979 م.

35- ابن مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد)- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
مكتبة الكلية

36- المزاري (أغابن عودة)- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر- تحقيق ودراسة: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1990م.

37- النويري (أحمد بن عبد الوهاب)(ت 732هـ/1331م)- نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد- جزء خاص بالمغرب- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط إفريقية والمغرب والاندلس صقلية أقرطش (27-719هـ/647-1319م)، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، بلا تاريخ.

37- ابن الوردي (زين الدين عمر) - تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) - تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، ط١، بيروت، دار المعرفة، 1389هـ/1970م.

39- الوزير سراج (محمد بن محمد الأندلسي) - الحلل السندسية في أخبار تونسية- تحقيق: محمد الحبيب هلا، القسم الرابع، 1970م.

40- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي) (ت 626هـ/1229م)- معجم البلدان- مقدمة محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء الثرات العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

41- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) - كتاب البلدان- دار إحياء الثرات العربي.

2- المراجع:

42- مصطفى (أبو ضيف عمر)- أثر القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

43- أبو مصطفى (سيد كمال)- محاضرات في التاريخ والمغرب والأندلس- مركز الإسكندرية للكتاب، 2006م.

44- بوعزيز يحي - موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب- دار الهدى- الجزائر، 2004م.

45- (ـــــــــــــــ)- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

46- بورويبة رشيد، لقبال موسى، حاجيات عبد الحميد، دهينة عطاء الله، بلقراد محمد- الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني- وزارة الثقافة والإتصال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1980م.

47- بورويبة رشيد- الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها- ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1397هـ/1977م.

48- بوداود عبيد- ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط ما بين القرنيين 7و9 الهجريين (13-15م)- لدراسة في التاريخ السيوسيو الثقافي، دار الغرب للنشر والتوزيع.

49- بوتشيش إبراهيم القادري - إضاءات حول ثرات الغرب الإسلامي وتاريخه الإقتصادي والإجتماعي- ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، مارس، 2002م.

50- بل ألفريد - الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم- ترجمة: بدوي عبد الرحمن، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1969م، ط3، 1987م.

51- البختي علال جمال - الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن ٧هـ، دراسة تاريخية وقراءة تحليلية في مواقف ابن خمير الشبتي من التصوف والمتصوفة- ط1، القاهرة، الناشر مكتبة الثقافية الدينية، 1426هـ/2005م.

52- ترونو لي روجي - حركة الموحدين في المغرب خلال القرن 13/12م- ترجمة: أمين طيبي، تونس، الدار العربية للكتاب، 1981م.

53- حركات إبراهيم- المغرب عبر التاريخ- دار الرشاد الحديثة الحديثة، الدار البيضاء، ط2، 1405هـ/1984م.

54- (ـــــــــــــ)- النشاط الإقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط- إفريقيا- الشرق، دار البيضاء، المغرب الأقصى، 1996م.

55- حارش محمد الهادي - التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر، 1992م.

56- حسن علي حسن- الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

57- حسين عبد الوهاب حسين- معالم التاريخ البيزنطي السياسي والحضاري- دار المعرفة الجامعية، للطبعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2000م.

58- حمادي عبد الله - دراسات في الأدب المغربي القديم- دار البعث للطباعة والنشر، 1406هـ/1988م، قسنطينة، الجزائر.

٥٩- خالدي عبد الحميد - الوجود الهلالي السليمي في الجزائر- دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٣م.

60- خلف الله مرعي إبتسام -العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي (524-936هـ/1130-1529م)، دار المعارف، 1405هـ/1985م.

61- درياس الأخضر ، درياس يمينة ، دوبالي حنان - جامع المسكوكات العربية الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين- ط1، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980م.

62- زينب نجيب - الموسوعة عامة لتاريخ المغرب والأندلس، أحمد بن سودة.

63- سعيدي عثمان- الأمازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، 1996م.

64- الشنتاوي أحمد، خورشيه إبراهيم زكي - مراجعة عبد الحميد يوني، دائرة المعارف الإسلامية.

65- شريط عبد الله ، الميلي محمد - الجزائر في مرآة التاريخ- ط1، قسنطينة، طبع ونشر مكتبة البعث، 1965م.

66- الشريف الهادي محمد - ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس- ط٢، تونس، لسراس للنشر، 1985م.

67- الصبحي إبراهيم محمد- الحضارة العربية وأثرها في أوربا- مكتبة الوعي العربي.

68- الطمار محمد- الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٣م.

69- العروي عبد الله- مجمل تاريخ المغرب- الدار البيضاء، ط2، 1994م.

70- عز الدين أحمد موسى- النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي، خلال القرن السادس هجري- دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1983م.

71- عز الدين عمر موسى- الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم- دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1411هـ/1991م.

72- علام علي عبد الله – الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي- دار المعارف، مصر، 1971م.

73- عنان محمد عبد الله- دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث- عصر المرابطين والموحدين في المغرب الإسلامي- مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ/1990م.

74- العربي إسماعيل- دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر.

75- العبادي مختار أحمد – في التاريخ الأيوبي والمملوكي- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

76- عبد الحميد زغلول سعد – تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، منشأة الناشر المعارف بالإسكندرية،2003 م.

77- غانم محمد الصغير – المملكة النوميدية والحضارى البونية- ط1، الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ديمسبر، 1998م.

78- فيلالي محمد علي – أعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1423هـ/2004م.

79- فيلالي عبد العزيز – تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية- طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002م.

89- بوعبدلي المهدي:" الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وأثرها"، مجلة الأصالة، السنة 04، العدد 19.

90- بوعزيز يحي:"مركز بجاية الحضاري ودوره في إثراء الحضارة العربية الإسلامية وفي النهضة إيطاليا وجنوب غرب أوربا"، مجلة الحضارة الإسلامية، السنة 05، العدد 01، 1993م.

91- بلحميسي مولاي:" دور بجاية في البحر الأبيض الموسط في عهد الحماديين والحفصيين"، محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، 1-12 ربيع الأول 1394هـ- 65مارس إلى 15 أفريل 1974م- مجلد 2، منشورات وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية.

92- بلحميسي مولاي:" بجاية في حدائق الكتب"، مجلة الأصالة، السنة 04، العدد 19.

93- موسى لقبال موسى:" ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى"، مجلة الأصالة، السنة 04، العدد 19، عدد خاص ببجاية، 1394هـ/1974م.

94- عالمة السيد: " نظرة على تاريخ بجاية"، مجلة الأصالة، السنة 04، العدد 19.

95- مصطفاوي رشيد:" بجاية في الهد الحمادي"، مجلة الأصالة، السنة 01، العدد 01، محرم 1391هـ/مارس 1971م.

96- عبد القادر عثماني عبد القادر:" الزوايا والتعليم القرآني والديني بها"، مجلة الدراسات الإسلامية، العدد 02، شوال 1423هـ/ ديسمبر 2002م، الجزائر.

97- بلقاسم نايت مولود بلقاسم:" بجاية الإسلام لقنت أوربة الرياضيات بلغة العروبة"، مجلة الثقافة، العدد 89، السنة 15، ذو الحجة محرم، سبتمبر، أكتوبر 1405هـ- 1406هـ/ 1985م.

98- سعيدوني ناصر الدين:"التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، ط1، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، 1996م.

99- قالي ميشلين:" أعمال المؤتمر الدولي الثاني لدراسة ثقافات غربي الأبيض المتوسط II الجمعية الدولية لدراسة ثقافات البحر الأبيض المتوسط، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978م.

100- محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي- بجاية – م2، 1-12ربيع الأول 1394هـ- 25مارس إلى 15 أفريل 1974م- منشورات وزارة الشؤون الدينية.

101- أعمال ملتقى دولي في التاريخ- التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة منثوري، قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 23-24 أفريل 2001م.

4- الأطروحات:

102- عبدلي الأخضر: "الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (633هـ-962هـ/1236م-1554م)، رسالة الدكتوراه دولة، 1425هـ-1426هـ/2004-2005م قسم الثقافة الشعبية،كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية جامعة تلمسان.

الفهرس

الفهرس:

مقدمة.....أ
تمهيد.....01
الفصل الأول: تاريخ بجاية الموحدية و الحفصية بين القرنين (6-7هـ/12-13م)
1- بجاية الموحدية.....08
أ- ابن تومرت ورحلته العلمية.....08
ب- عبد المؤمن بن علي يفتح بجاية.....12
ج- بجاية تحت الحكم الموحدي (1152-1230م).....18
د-حركة بني غانية.....20
2- بجاية الحفصية.....26
أ- استقلال أبي زكريا الحفصي عن الدولة الموحدية.....28
ب- الأمير الحفصي أبي زكرياء يضم بجاية لملكه.....29
ج- وضع بجاية بعد وفاة أبي زكريا.....31
الفصل الثاني: بجاية دراسة حضارية ما بين القرنين(6هـ- 7هـ/ 12م- 13م).. ..
1- الحياة السياسية.....38
2- نظم الحكم التي عرفتها بجاية.....39
3- مهام الولاة.....41
- أسطول بجايةِ.....42
4- الحياة الاقتصادية ببجاية.....43
أ- الفلاحة.....43
- النباتات.....44
- الغابات.....45
- تربية الحيوانات.....45

-مأكولاتهم..... 59
-السكة.....59
-الرواتب و الزكاة.....60
6- العمارة في بجاية.....61
مواد البناء التي استعملها البجائيون.....70
الفصل الثالث: بجاية و دورها الثقافي في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط
1- الحياة الفكرية خلال القرنين (6-7 هـ) (12-13 م).....73
2- دور المهاجرين الأندلسيين في إثراء الثقافة ببجاية.....77
3- المظاهر الثقافية المتبادلة بين المغرب الإسلامي و المشرق العربي.....80
4- دور الحضارةالاسلامية في النهضة الأوربية.....84
- أسباب وعوامل ازدهار النهضة بدول غربي أوروبا.....85
- دور بجاية الاقتصادي.....86
- دور بجاية العلمي.....87
5-أصناف العلوم ومشاهير العلماء.....90
أ- العلوم الدينية.....91
ب- الأدبـــاء.....93
جـــ- الفلسفة.....94
د- التاريخ.....95
و- الرياضيات.....96
هـــ- الطب.....97
الخاتمة.....100
الملاحق 103
قائمة المصادر والمراجع.....123
الفهرس.....137

103- عبد الكريم عزوق:" المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها (دراسة أثرية)، رسالة الدكتوراه دولة 2008/2007م.

104- فرح سعد:" الحياة الثقافية بالدولة الزيانية على عهد يغمراسن سنة (633هـ-681هـ/1231-1280م)، رسالة الماجستير 2002/2001م.

105- الأمين عمر:" مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنيين (4-6هـ/10-12م)، للفترتين الزيرية والحمادية (آشير - قلعة بني حماد - بجاية)، رسالة الماجستير 2001/2000م، الجزائر العاصمة.

5- المراجع باللغة الفرنسية:

106- Conolli Iscbelle, histoire de la ville de Bejaia u VI eme siècle avant J.C au XII eme siècle, collection des français d'allurs, éditions les français d'allurs rontpelleir 1987.

107- Cote marc, paysages et patrimoine, guide d'Algérie, maison de la culture Constantine, 1996.

108- Grell, S ; histoire ancienne de la frique de nord, tome 1.

109- Hadjiyate Abedelhamid ; Abedelmoumen, Edition, Paris, 1983.

110- Miloud,Gaid, histoire de Bejaia et de sa région depuis l'antique jusqu'à 1954.

80- الفاخوري حنا و جر خليل - تاريخ الفلسفة العربية- ط3، بيروت، دار الجيل، 1993م.

81- الميلي بن محمد مبارك - تاريخ الجزائر في القديم والحديث- دار الغرب الإسلامي، بيروت.

82- النجار عبد المجيد- المهدي بن تومرت- دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ/1983م.

83- نسيب محمد- زوايا العلم والقرآن بالجزائر- دار الفكر- الجزائر، بدون تاريخ.

84- هلال عمار- العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ما بين القرنيين الثالث و التاسع عشر الميلاديين (19/3م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

85- الهادي روجي إدريس- الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م- ترجمة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992م.

3- الندوات والمقالات:

86- أبو دياك صالح:" مدينة بجاية ودورها الحضاري في المغرب منذ القرن الرابع إلى القرن الثامن للهجرة"، أبحاث يرموك، المجلد 12، العدد 02، 1417هـ/ 1996م.

87- بجاية سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، طبعة ديسمبر، 1970م.

88- (_____)، طبعة 1975م.

مذاهب دينية، فمنهم من تخلى عن مذهبه المالكي، واعتنق أحد المذهبين أكثر شيوعا كالمذهب الشافعي و الحنفي، وقليل منهم من ذهب إلى المذهب الحنبلي [1]، أما الذين حافظوا على مذهبهم المالكي، اشتغل معظمهم في القضاء والتدريس بالمدارس المالكية والذين تمذهبوا بمذاهب أخرى، نقلوها إلى بلاد المغرب الإسلامي، وعليه تقربت أكثر إلى المذاهب الدينية الثلاثة التي كانت غير منتشرة بالمغرب الإسلامي بل كان المدهب المالكي رائج[2].

كما تأثر البجائيون بالفن الزخرفي و بجمال الخط الكوفي الذي انتشر في العمارة البجائية، فمثلا هناك كتابات على قبور بجاية بالخط الكوفي، كما استخدم المعماريون ببجاية الزخرفة المشرقية في قصور بجاية، بالإضافة إلى شكل بعض الأواني والمادة المصنوعة منها، كالصلصال المحّروق الذي يضاف إليه بعض المواد التي تكسبه بريقا معدنيا يجعله صالحا أن يأخذ مكان الأواني الفضية والذهبية، فربّما صنّاع بجاية أخذوا من المشارقة[3]، ويرجع الفضل في وصول مثل هذه التيارات الفنية والثقافية أولا إلى الدول الصنهاجية التي فتحت أبوابها للوافدين على ديارها المغربية، كما يرجع الفضل إلى رحلات علماء المغاربة أيضا عبر هذه الأصقاع، و إلى جانب تشجيع واجتهاد خلافاء الدولة الموحدية و الحفصية في الاتصال و توطيد العلاقات المغربية والمشرقية، التي تعدت التبادلات العلمية و الثقافية، بل شهدت نوعا آخر من التضامن وهو مشاركة المغاربة إخوانهم المشارقة في الحروب الصليبية، وتصدي التكالب المسيحي على الديار العربية الإسلامية [4]، فهذا الاتحاد هو جزء من العقيدة الإسلامية المشتركة.

1- اعمال الملتقى دولي في التاريخ، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة منتوري قسنطينة دار الهدى للطبع و النشر, 23-24 أفريل 2001, الجزائر, ص 189.

2- المذهب المالكي: تأسس على يد الإمام مالك بن أنس في أوئل القرن 02 هجري، وبدعم من الخلافةالعباسية، ولقد تبنت دولة المرابطين ومن بعدها دولة الموحدين بالمغرب المذهب المالكي ونشروه، ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1343هـ/1935م.

3-محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج ، ص 158، 159.

4-أعمال الملتقى دولي في التاريخ ، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربة عبر العصور ،ص 191.

-بعض علماء المغرب الأقصى مدفونون ببجاية-

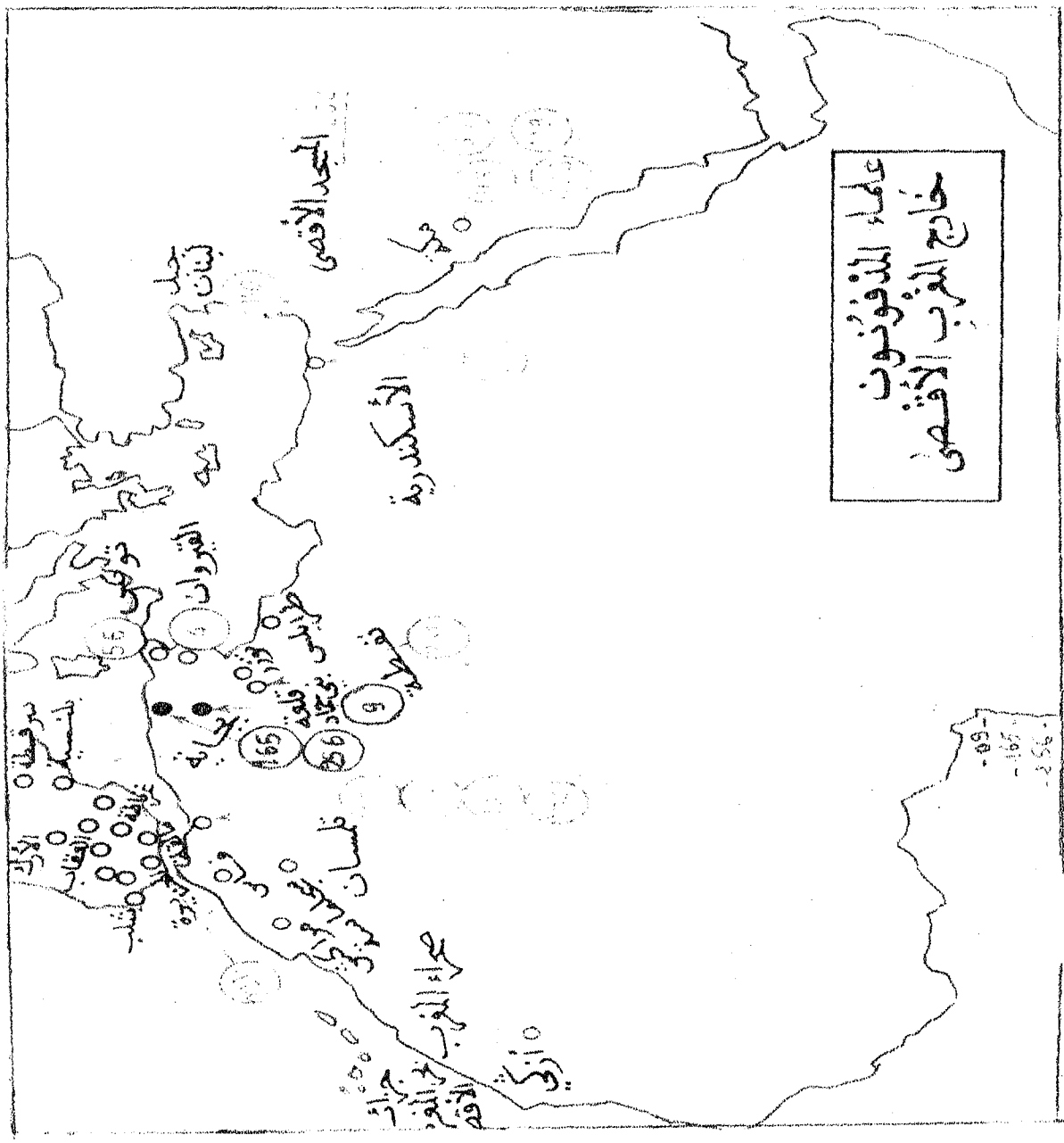

- أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي عرف بابن الزيات (167هـ)، التشوق إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي.

و كانت تصل بمجموعة من الطرق منها إلى القيروان و السوس الأدنى[1]، إلى الفسطاط[2] و الواحات المصرية ثم السودان[3] و تنتهي إلى غانه، كما أنشأ الموحدون طريقا صحراويا يصل بين بجاية و ورقلة [4] إلى النيجر[5].

هذا التنوع في الإتصالات دّعم أكثر الإقتصاد البجائي و أكسب بجاية أهمية تجارية كبيرة، لكن رغم هذه الآليات إلا أن الطرق البحرية كانت في الصدارة الأولى بسبب اهتمام الحكام بهذه المسالك و امتلاك بجاية لأسطول ضخم، فتحولت معظم النشاطات التجارية نحو التجارة البحرية، أضحت من خلاله بجاية ملتقى الطرق البحرية من جهة ومركزا مستهدفا من قبل الفرنجة الذين تعاطوا القرصنة في حوض البحر الأبيض المتوسط.

---

[1]– السوس الأدنى: إقليم واسع، يقع في شمال السوس، حتى نهر أم الربيع، بالمغرب الأقصى، ينظر: لسان الدين بن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص 01.

[2]– الفسطاط: أسسها الفاطميون، إذ كانت عاصمة لهم بمصر.

[3]– السودان: أكبر الدول العربية مساحتا، تقع بقارة إفريقيا عاصمتها الخرطوم.

[4]– ورقلة: إسمها الأصلي بني ورجلان، تقع بالجنوب الجزائري، ينظر: توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 227.

[5]– صالح أبو دياك, نفس المقال السابق, ص230, والنيجر: دولة تقع وسط إفريقيا.

ب- الصنائع.....46
- الصناعة النسيجية.....46
- الصناعة الجلدية.....46
- الصناعة الفخارية و الخزفية و الزجاجية.....47
- صناعة الشمع.....47
- صناعة الورق و الوراقة.....47
- الصناعة المعدنية.....47
- الصناعة الخشبية.....48
- الصناعة التجميلية.....48
- التجارة.....48
- الطرق.....49
العلاقات التجارية بين بجاية و الدول المسيحية.....51
أ- العلاقة التجارية مع جنوة.....51
ب- العلاقة التجارية مع بيزا.....52
جـ- العلاقة التجارية مع البندقية.....52
د- العلاقة التجارية مع إسبانيا.....52
و- العلاقة التجارية مع فرنسا.....52
- الصادرات و الواردات ببجاية.....53
5- التركيبة السكانية و الحياة الاجتماعية.....55
أ- العنصر البربري.....55
ب- العنصر العربي.....55
ج- العنصر الأندلسي.....56
د- العنصر اليهودي.....57
هـ- العنصر المسيحي.....57
و- عناصر أخرى سكنت بجاية.....58
*الملابس و الزينة عند البجائيين..... 58

مـلخـص

عرفت بجاية بين القرنين 6-7ه/12-13م محطات تاريخية متنوعة شهدت خلالها ابرز الأحداث إذ ساهمت بطريقة مباشرة في تغيير من وضعها السياسي كما لم تحد من ازدهارها الحضاري فعرف اقتصادها انتعاشا ونموا ، بالإضافة إلى توسع عمرانها الذي استقطب مختلف التركيبات السكانية إليها ، من بينهم جمهرة كبيرة من العلماء الذين ساهموا رفقة أعلام بجاية في إثراء الثقافة بها بل تعدى إسهامهم الفكري إلى دول غربي البحر الأبيض المتوسط .

كلمات مفتاحيه:-بجاية – دراسة تاريخية-حضارية- بين القرنين 6-7 هجريين 12-13ميلاديين .

Résumé

La ville de Bejaia à connu le 6ème siècle de l'hégire (12ème et 13ème Siècle après J.C) différents étapes historiques, et d'importants évènement. Elle à contribue d'une manière directe au changement de sa situation politique, civilisationnel .Aussi, que sa prospérité s'est va progresser de plus en plus. Son aspect architectural s'est étalé avec une attraction particulière, la raison pour laquelle bon nombre de savants, qui avaient travaillé en collaboration, leur effort intellectuel, va dépasser aussi son territoire pour aller donner un écho au debye de la mer méditerranée.

Mots clés: Bejaia, étude historique-civilisationel- entre le 6ème et 7ème Siècle de l'aigrie (12ème et 13ème shècle après j.c)

ABSTRACT

Bejaia know a variety of historical events ,between the 6th and 7th the century ,it contributed directly to its political change which aid not hinder its progress and civilization ,the development of its economy and increase of its population attracted the neighboring citizens ,among them great scientists who participated in the enrichment of its culture beyond the Mediterranean .

Key worlds: bejaia historical study civilization, between the 6th and 7th the century.

- مملكة بجاية وتونس -

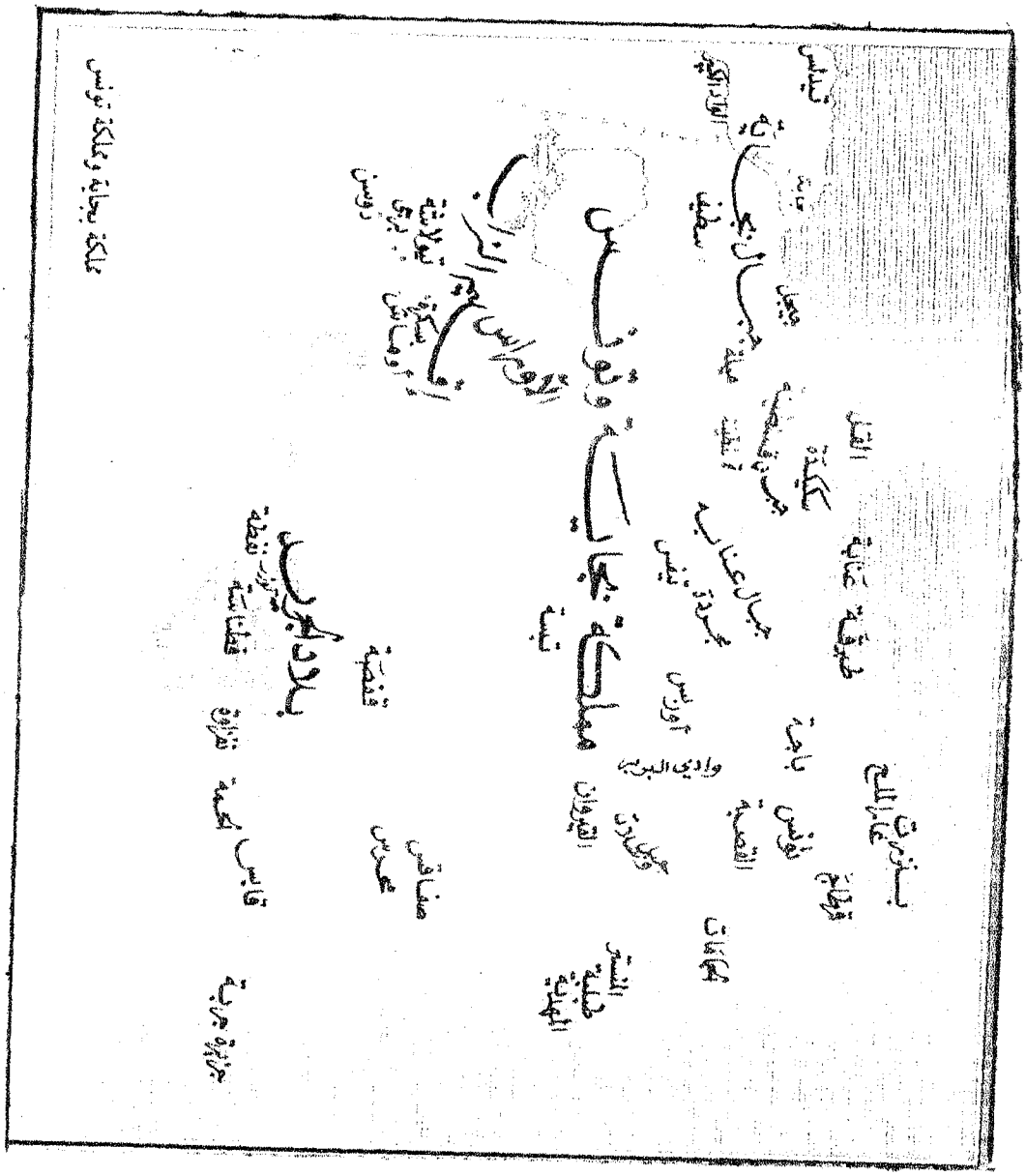

- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2.

- الطرق التجارية في العصر الموحدي -

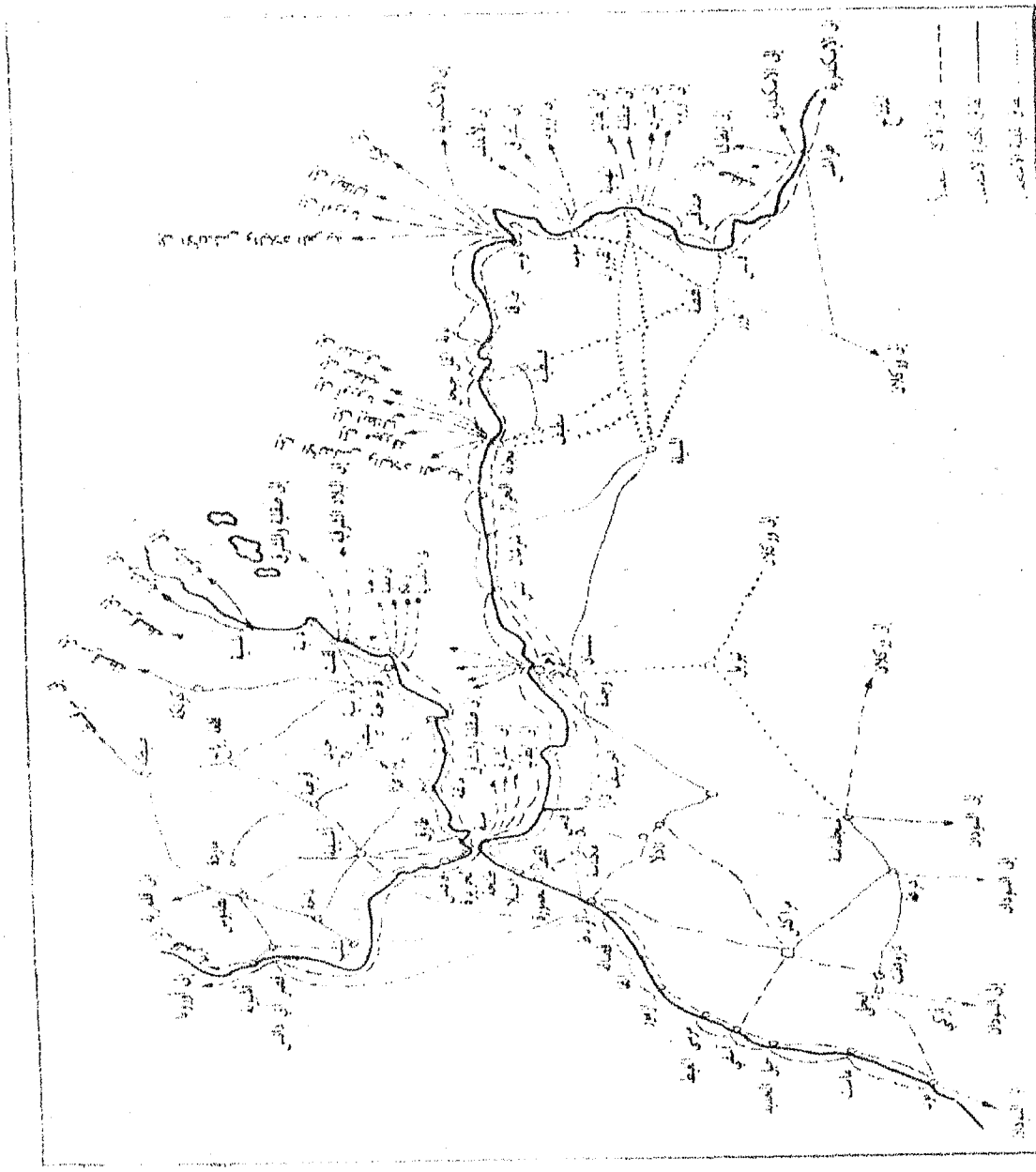

– عز الدين أحمد موسى، النشاط الإقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، ص 308.